بسم الله الرحمن الرحيم

رسالتان في الإمام المهدي

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ـ وزارة الثقافة ١٠٨٥

لسنة ٢٠٠٩ م

BP
٢٢٤/٤
٨ ب/
٥ ر

البلداوي، وسام برهان، ١٩٧٤- م.

رسالتان في الإمام المهدي عليه السلام: ١. هل للإمام ذرية في عصر الغيبة؟ ٢. هل للرؤى والأحلام حجة شرعية؟ / تأليف وسام برهان البلدواي. - كربلاء: العتبة الحسينية المقدسة، ١٤٣٠ق. - ٢٠٠٩م.

١٢٨ ص. - (قسم الشؤون الفكرية والثقافية؛ ٣٤)

المندرجات: الرسالة الأولى: هل للإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف زوجة وذرية في الغيبة الكبرى؟؛ الرسالة الثانية: هل للرؤى والأحلام حجية شرعية أو عقلية؟

المصادر: ص. ١٢١ - ١٢٤؛ وكذلك في الحاشية.

١. محمد بن الحسن (عج)، الإمام الثاني عشر، ٢٥٦ ق. - - الغيبة - شبهات وردود.
٢. محمد بن الحسن (عج)، الإمام الثاني عشر، ٢٥٦ق. - - نساء - شبهات وردود.
٣. محمد بن الحسن (عج)، الإمام الثاني عشر، ٢٥٦ ق. - - أولاد - شبهات وردود.
٤. محمد بن الحسن (عج)، الإمام الثاني عشر، ٢٥٦ ق. - - الرؤية - شبهات وردود.
٥. محمد بن الحسن (عج)، الإمام الثاني عشر، ٢٥٦ق. - - السفراء - شبهات وردود.
٦. المهدوية - انتظار. ٧. محمد بن الحسن (عج)، الإمام الثاني عشر، ٢٥٦ ق. - - أصحاب - شبهات وردود. ٨. آخر الزمان. ٩. تعبير الرؤيا - شبهات وردود . ألف. عنوان. ب. عنوان: هل للإمام ذرية في عصر الغيبة؟. ج. عنوان: هل للرؤى والأحلام حجة شرعية؟ د. عنوان: هل للإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف زوجة وذرية في الغيبة الكبرى؟ هـ. عنوان: هل للرؤى والأحلام حجية شرعية أو عقلية؟

BP ٢٢٤ /٤ / ب ٨ ر ٥

تمت الفهرسة قبل النشر في العتبة الحسينية المقدسة

رسالتان في الإمام المهدي

هل للإمام المهدي ذريّة في عصر الغيبة الكبرى؟

هل للأحلام والرؤى حجة شرعية أو عقلية؟

تأليف
الشيخ وسام برهان البلداوي

إصدار
قسم الشؤون الفكرية والثقافية
في العتبة الحسينية المقدسة
شعبة الدراسات والبحوث الإسلامية

جميع الحقوق محفوظة

للعتبة الحسينية المقدسة

الطبعة الأولى

١٤٣٠هـ ـ ٢٠٠٩م

العراق: كربلاء المقدسة ـ العتبة الحسينية المقدسة

قسم الشؤون الفكرية والثقافية ـ هاتف: ٣٢٦٤٩٩

Web: www.imamhussain-lib.com

E-mail: info@imamhussain-lib.com

عن المفضل ابن عمر الجعفي، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سمعته يقول: «إياكم والتنويه، أما والله ليغيبن إمامكم سنينا من دهركم، ولتمحصن حتى يقال: مات أو هلك بأي واد سلك، ولتدمعن عليه عيون المؤمنين ولتكفأن كما تكفأ السفن في أمواج البحر ولا ينجو إلا من أخذ الله ميثاقه وكتب في قلبه الإيمان وأيده بروح منه، ولترفعن اثنتا عشرة راية مشتبهة لا يدري أي من أي، قال: فبكيت، فقال ـ لي ـ: ما يبكيك يا أبا عبد الله؟ فقلت: وكيف لا أبكي وأنت تقول: اثنتا عشرة راية مشتبهة لا يدري أي من أي فكيف نصنع؟ قال: فنظر إلى شمس داخلة في الصفة، فقال: يا أبا عبد الله ترى هذه الشمس؟ قلت: نعم، قال: والله لأمرنا أبين من هذه الشمس».

الإهداء

إلى عمود الدين، والنبأ العظيم الذي هم فيه مختلفون وعنه مسؤولون، إلى الصديق الأكبر والفاروق الأعظم، إلى الذي يسعد من تولاه، ولا يخيب من يهواه، ولا ينصر من عاداه، إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله وسلامه عليه اهدي هذا الجهد المتواضع، ألتمس بذلك كمال المنزلة عند الله لي ولوالدي. والمنّ علي بنصرة دينه وإغاثة الملهوفين من عباده، وان أحيى وجميع من يهمني أمره ويهمه أمري على ما حيي عليه مولاي علي بن أبي طالب صلوات الله وسلامه عليه وأموت وإياهم على ما مات عليه.

عبدكم يا مولاي وسام البلداوي

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله كما حمده أنبياؤه ورسله وعباده المصطفون.

وبعد، فلا يخفى أن الاهتمام بقضية الإمام المهدي صلوات الله وسلامه عليه وبجميع ما يتعلق بها من قبل المتشرعة من أبناء الطائفة الشيعية هو ليس بالأمر الحادث، فمنذ أن أعلن الإمام المهدي صلوات الله وسلامه عليه غيبته الكبرى والناس تتوق إلى معرفة كل صغيرة وكبيرة عن حياة هذا الإمام العظيم صلوات الله وسلامه عليه، وتترصد كل حدث ونازلة كونية أو اجتماعية عسى أن يكون فيها إشارة تبعث في نفوسهم بصيصاً من الأمل بقرب الظهور ودنو اللقاء، اللقاء الذي سيكون فيه راحتهم ورفع معاناتهم التي رافقتهم طوال غيبة إمامهم، فهم للقاء إمامهم أشوق من النبتة العطشة إلى ماء المطر.

ولكن هذا الشوق والتحرق المدفون في قلوب المؤمنين كان كثيراً ما يستغلّه بعض المحتالين، فما بين فترة وأخرى يخرج على الناس مدّعٍ مخادع يستفيد من تجارب الذين قد خرجوا قبله فَيُقبِل بفكرة مطورة متناسبة ومتسقة مع الوضع الثقافي والفكري للمنطقة الجغرافية التي يختارها هذا المحتال، وقد ابتليت أرض

العراق والبلدان المحيطة بها بأكبر عدد من هؤلاء المحتالين لسببين مهمين:

الأول: هو أن أكثر الروايات التي تحدثت عن تاريخ الظهور وعلاماته وما سيرافقه من أحداث وتطورات واضطرابات إنما تحدثت عن أرض العراق وما تحيط به من البلدان.

الثاني: أن أغلب شخصيات مرحلة الظهور سواء الأشخاص الذين سيكون لهم دور ايجابي كاليماني أو الخراساني أو الأنصار والقادة الذين سيكونون في ضمن ركاب الإمام المهدي عليه السلام ـ جعلنا الله وجميع المؤمنين منهم ـ، أم الذين سيكون لهم دور سلبي في تلك المرحلة كالسفياني وجيشه وأنصاره وغيرهم من السفاحين، فكلا الصنفين سيخرج من هذه الأرض أو الأراضي المحيطة بها.

فمن الطبيعي حينئذ أن يكون هذا البلد وما حوله من البلدان محط رحال هؤلاء الدجالين ومركز تواجدهم، ولكن الملفت للنظر أن هؤلاء الدجالين ازدادت أعدادهم في السنوات القليلة الماضية، وربما خرج منهم العديد في زمن واحد في بلد واحد، وربما تشابهت ادعاءاتهم، فلربما رأينا شخصين أو أكثر كلهم يدعي بأنه اليماني، وكلهم يستصرخ الناس ويجمع الأعوان والأنصار تحت عنوان انه المرسل الوحيد والحصري من قبل الإمام المهدي صلوات الله وسلامه عليه، فكل يدعي وصلا بليلى، وليلى لا تقر لهم بذاكا، والأعجب من ذلك كله أن تتشابه أدلتهم تشابها يتيقن معها المتابع لأفكارهم بأنها قد أخذت من منهل واحد وان الجميع جنودٌ يسيرون من قبل مدرسة أو جهة أو منظمة واحدة صنعت تلكم الأفكار وسوقتها عبر هؤلاء الوكلاء.

وفي هذا الكتاب الذي سيجمع بين دفتيه رسالتين سنحاول في إحداهما العرض المناقشة لادعاءٍ غريب وحصري لم يسبق له مثيل في تاريخ السفارات الكاذبة عن الإمام المهدي صلوات الله وسلامه عليه، فمسألة وجود الذرية والزوجة للإمام المهدي صلوات الله وسلامه عليه في عصر الغيبة الكبرى كانت ومنذ عهد قديم تعد مسألة نظرية بحتة، ولم يتجرأ أحد على ادعاء تحققها خارجا إلا من خرج على الناس في هذه السنين القليلة الماضية، وللأسف الشديد قد وجد هذا الادعاء صدى في نفوس بعض الذين لا ينظرون إلى بواطن الأمور وحقائقها، ويسعون ـ بحسن نية منهم في كثير من الأحيان، أو لسوء عاقبة في بعض الأحيان ـ وراء كل من يشدهم إلى الإمام المهدي صلوات الله وسلامه عليه ويلوّح لهم بقرب ظهوره، ويمنيهم سعادة نصرته وفخر الاستشهاد بين يديه، ويحاول وأتباعه أن يبهروا منهم العقول بأفكار لم يعتدها العوام من المجتمع، مستغلين حالة الفراغ العلمي والجهل العقائدي والديني الذي رزح تحت وطأته المجتمع لعقود طويلة نتيجة ممارسة الدول الظالمة لسياسة التجهيل الديني والمعرفي تجاهه، وهذه الرسالة صيغت وبالدرجة الأولى لتبيان وإيضاح هشاشة فكر هؤلاء وضعف مبانيهم وتضارب أدلتهم والخلط الذي يقع فيه مفكروهم عسى أن تكون حبلا يتمسك به من يريد لنفسه الانقاذ من حبائل كيدهم ومكرهم، وضوء يرجع نحوه من وقع في ظلمات تلبيساتهم وحبائل غيهم راجين من ذلك كله قول النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم لأمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه:

«لان يهدي الله على يديك رجلا خير لك مما طلعت عليه الشمس وغربت»[(١)].

---

(١) الكافي للشيخ الكليني: ج٥، ص٢٨، باب وصية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأمير المؤمنين عليه السلام في السرايا الحديث رقم٤.

أما الرسالة الثانية فسنستعرض فيها أحد الأدلة التي حاول الاستفادة منها كل من ادعى السفارة والنيابة الخاصة عن الإمام المهدي صلوات الله وسلامه عليه في عصرنا هذا، فموضوع المنامات والأحلام والرؤى قد استغلّه هؤلاء استغلالا أوقع كثيراً من الناس في شباكهم، وقد ألّف الكتب والمقالات أئمة الضلالة وأتباعهم لتأسيس مسألة المنامات وترويجها وتوجيهها توجيها شرعيا وعقليا لإفضاء هالة القداسة عليها ولمنحها حالة الإلزامية، فكانت فتنة المنامات فتنة عصيبة يعرفها كل من شاءت المقادير الإلهية أن يقع في طريقها أو تقع هي في طريقه. وعملا بقول الإمام الصادق صلوات الله وسلامه عليه:

«إذا ظهرت البدع فعلى العالم أن يظهر علمه فإن لم يفعل سلب منه نور الإيمان»[(١)].

فقد حاولنا جاهدين في الرسالة الثانية أن نكشف الغطاء عن حقيقة الأحلام في القرآن وكلمات المعصومين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وتحديد مقدار ما يمكن الاستفادة منها وتبيان حدود حجيتها إن كان لها حجية أصلا، راجين من الله سبحانه وتعالى والمعصومين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين التسديد والقبول، ومن القارئ الكريم العذر والمسامحة عن كل سهو أو خطأ قد يقع فيه كاتب هاتين الرسالتين.

الشيخ وسام برهان البلداوي
من داخل حرم الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه
شهر رمضان المبارك لسنة ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م

---

(١) علل الشرائع للشيخ الصدوق: ج١، ص٢٣٦، العلة التي من اجلها سمي علي بن موسى الرضا عليه السلام.

الرسالة الأولى

هل للإمام المهدي عجّل الله تعالى فرجه الشريف

زوجة وذرية في الغيبة الكبرى؟

مقدمة

قد تفنن أصحاب رايات الضلالة والانحراف طوال فترة الغيبة الكبرى في اختلاق مختلف الأكاذيب، وتقمص مختلف الشخصيات التي ورد لها ذكر في روايات أهل البيت صلوات الله وسلامه عليه وأحاديثهم، كاليماني الذي وصفت رايته وحركته بالهدى والسداد، وكالخراساني الذي يخرج في نفس سنة اليماني والذي يكون من أصحاب السداد والهدى أيضا.

ولعل أعجب دعوى ادعيت هي دعوى من قال: إنه ابن الإمام المهدي صلوات الله وسلامه عليه، وانه المرسل من قبل أبيه في عصر غيبته الكبرى التامة، وانه وزيره في أيام ظهوره وحكمه، وانه الحاكم الذي سينصب خليفة للإمام المهدي صلوات الله وسلامه عليه من بعد موته ورحيله من هذه الدنيا، وانه سيخرج من صلبه اثنا عشر مهديا سيحكمون من بعده وبعد الإمام المهدي صلوات الله وسلامه عليه، وانهم وإياه المهديون الذين بشر بهم الأئمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين في أحاديثهم، وقد ترقى هذا المدعي في ترهاته حتى ادعى زيادة على ما مر بأنه اليماني، وانه إمام معصوم، مفترض الطاعة شأنه شأن بقية الأئمة الاثني عشر صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وهو بقية آل محمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وهو الركن الشديد الذي سيركن إليه الإمام المهدي

صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وهو أيضا المؤيد بجبرائيل والمسدد بميكائيل صلوات الله وسلامه عليهما، والمنصور بإسرافيل صلوات الله وسلامه عليه، إلى غير ذلك من أنواع الأوصاف والألقاب التي أطلقها الرجل على نفسه جزافا ومخالفة لما أجمع عليه أساطين المذهب وكل أفراده.

وسنفرد القول في هذا الرسالة حول مسألة إمكان ان يوجد للإمام المهدي صلوات الله وسلامه عليه ذرية في مدة غيبته الكبرى، وسنثبت بما لا يقبل الشك ان الأدلة الشرعية والنصوص الروائية والقواعد العامة للمذهب التي توارثها الخلف عن السلف والكل عن الأئمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين تجزم بعدم إمكان ذلك وهذا ما سنتعرف عليه في الآتي:

تمهيد قبل البدء

قبل البدء في استعراض أدلة من قال بوجود الذرية للإمام المهدي صلوات الله وسلامه عليه، ومناقشتها لابد من بيان أمر هام نبني عليه أساس البحث حول موضوع الانتساب الصلبي للإمام الثاني عشر المهدي عجّل الله تعالى فرجه الشريف.

وهذا الأمر الهام هو: ان بعد موت السفير الرابع الشيخ السمري قدّس الله روحه وانقطاع السفارة الخاصة بدأت مرحلة جديدة من مراحل الغيبة، سميت في النصوص الروائية عن المعصومين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين بالغيبة التامة، والمعروفة عند عامة المتشرعة بالغيبة الكبرى، والتي ـ وبحسب ما جاء في نص التوقيع الصادر عن الإمام المهدي صلوات الله وسلامه عليه والموجه لأخر سفرائه قبيل وفاته قدّس الله روحه ـ لا انقضاء لأمدها ولا انتهاء لمدتها إلا من بعد خروج السفياني والصيحة، ووقت

خروج هذا وصدور تلك موكول إلى علم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وقد أمرنا الأئمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين بتكذيب كل من يوقت لذلك وقتا محدودا، ويعين للظهور زمنا معينا[١].

والإمام المهدي صلوات الله وسلامه عليه، الذي هو محور هذه الغيبة، والعنصر الأساس الذي من أجل سلامته ورعايته صدر القرار الإلهي الحاسم بقطع كل وسائل الاتصال التي تؤدي إلى كشف سره وهتك غيبته، ووفقا لهذا القرار الإلهي الحكيم رتب الإمام المهدي صلوات الله وسلامه عليه كل جزئيات حياته الشخصية وغير الشخصية بما يناسب ووصف التمام للغيبة.

ويمكن لنا ان نتعرف على ملامح الحياة التي ينتهجها الإمام المهدي صلوات الله وسلامه عليه وطبيعتها خلال هذه الغيبة، من خلال نفس الوصف الذي أطلق على هذه الغيبة، وهو كونها غيبة تامة.

والغيبة ـ كما هو معروف ـ مشتقة من الغيب، والغيب هو ما غاب عن الناس خبره، وتوارى أثره، فتقول غاب القمر أي غرب وتوارى[٢]، والتام والتمام ما يكون مسبوقا بالنقص ثم يكمل[٣].

فيصبح المنهج العام للإمام المهدي صلوات الله وسلامه عليه في غيبته التامة وفقا لهذا التعريف، هو منهج التواري الكامل لكل أثر يمكن ان يدل عليه، وإخفاء كل خبر

---

(١) قد فصلنا الكلام عن هذا التوقيع الشريف وأسراره وملابساته في كتاب مستقل أسميناه (السفارة في الغيبة الكبرى بين التأييد والمعارضة) للمؤلف فراجع.

(٢) مجمع البحرين للشيخ الطريحي: ج٣، ص٣٤٢.

(٣) تاج العروس للزبيدي: ج١٦، ص٧٥ مادة تمم.

يمكن ان يوصل إليه، وعلى أساس هذا المنهج بنى الإمام المهدي صلوات الله وسلامه عليه كل تفاصيل حياته سواء المتعلق منها بأموره الخاصة الشخصية كالزواج وإنجاب الأطفال وتكوين الأسرة وغير ذلك، أو المتعلق منها بالأمور الاجتماعية العامة، بوصفه إماماً يراعي أمور رعيته ويدبر شؤون مواليه.

ووفقا لهذا المفهوم للغيبة التامة يمكن لنا ان نحكم وبضرس قاطع بالرفض لأي ادعاء يكون فيه مخالفة صريحة لذلك المنهج العام الذي انتهجه الإمام المهدي صلوات الله وسلامه عليه، وكذلك يمكن لنا اعتماد هذا المنهج كدليل ومدرك في الرد على ما يستجد من الشبهات المعاصرة، حتى لو أعوزتنا النصوص التاريخية أو الوثائق الإثباتية المعتمدة اجتماعيا.

العقل والنقل يبطلان إمكان وجود الذرية في الغيبة الكبرى

مسألة كون الإمام المهدي صلوات الله وسلامه عليه متزوجا أو غير متزوج في غيبته الكبرى، أو ان له ذرية من صلبه أو ليس له ذلك في هذه الغيبة أيضاً، فيها خمسة فروض يمكن إثبات بعضها، ولا يمكن إثبات بعضها الآخر، وهذه الفروض الخمسة هي:

الفرض الأول: ان الإمام المهدي صلوات الله وسلامه عليه ليس بمتزوج أصلا.

الفرض الثاني: ان الإمام المهدي صلوات الله وسلامه عليه متزوج وليس له ذرية من صلبه، إما لكون هذه الزوجة عاقرا لا تلد أو ان عدم الذرية ناتج عن تدخل طبيعي أو غيبي يحول دون تحقق تلك الذرية، وان هذه الزوجة لا تعلم بحقيقة شخصه الطاهر.

الفرض الثالث: ان الإمام المهدي صلوات الله وسلامه عليه متزوج، وليس له ذرية، وان زوجته تعلم بحقيقة شخصه المقدس.

الفرض الرابع: هو ان الإمام المهدي صلوات الله وسلامه عليه متزوج، وله ذرية، وان زوجته وذريته لا يعرفون حقيقة شخصه المقدس، سواء كان عدم معرفتهم مستنداً إلى طريق طبيعي انتهجه الإمام صلوات الله وسلامه عليه معهم، أم كان عدم المعرفة ناتجاً عن تدخل غيبي إعجازي.

الفرض الخامس: هو ان الإمام المهدي عليه السلام متزوج وله ذرية من صلبه وان هذه الزوجة والذرية يعرفون حقيقة شخصه المقدس.

والفرض الأول والثاني والرابع يتناسب وينسجم مع المنهج العام الذي اتخذه الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف في زمن غيبته الكبرى، والذي تم توضيحه في تمهيد هذا الفصل، وقد بينا ان هذا المنهج كافٍ من حيث الإثبات فيما لو أعوزنا الدليل التاريخي أو الروائي.

ولكن الفرض الرابع منفي بالرواية عن أبي الحسن الرضا صلوات الله وسلامه عليه حينما دخل عليه علي بن أبي حمزة، فقال له:

«أنت إمام؟ قال نعم فقال له: إني سمعت جدك جعفر بن محمد يقول: لا يكون الإمام إلا وله عقب. فقال صلوات الله وسلامه عليه: أنسيت يا شيخ أو تناسيت؟ ليس هكذا قال جعفر، إنما قال جعفر: لا يكون الإمام إلا وله عقب إلا الإمام الذي يخرج عليه الحسين بن علي فإنه لا عقب له فقال له: صدقت جعلت فداك هكذا سمعت جدك يقول»(١).

---

(١) كتاب الغيبة للشيخ الطوسي: ص٢٢٤. بحار الأنوار: ج٢٥، ص٢٥١. دلائل الإمامة لمحمد بن جرير الطبري: ص٤٣٦.

وفي حالة حصول تعارض بين ذلك المنهج وبين الرواية فان الرواية تقدم قطعا، لأننا إنما اضطررنا إلى الأخذ بذلك المنهج حين أعوزنا الدليل الروائي، فإذا توفر الدليل الروائي ارتفعت حاجتنا إلى ذلك المنهج، ولو فرضنا وجود قصور في سند الرواية السابقة أو متنها أو دلالتها على المطلوب، فانه يتعين رفع اليد عنها، والأخذ بذلك المنهج العام.

وفي كلتا الحالتين لا يثبت ادعاء من يدعي البنوة للإمام المهدي عجّل الله تعالى فرجه الشريف. والفرض الرابع حتى في حال ثبوته فانه غير مجدٍ نفعا لمدعي الانتساب الصلبي بالإمام المهدي صلوات الله وسلامه عليه، لان الفرض الرابع مع انه يثبت الذرية والزوجة للإمام المهدي صلوات الله وسلامه عليه إلا انه ينفي كذلك المعرفة اليقينية من قبلهم بشخصه عليه السلام، لان في معرفتهم لشخصه كشفاً للغيبة ومخالفة صريحة لتماميتها، وهو ما لا يمكن للإمام أن يقوم به، لأنه صلوات الله وسلامه عليه هو من وصف غيبته الثانية بالتامة الكاملة، وكشفها أمام زوجته وذريته يعد تناقضا يتنزه عنه المعصوم صلوات الله وسلامه عليه وهذا التوجيه يمكن أن يكون أحد أجوبة الفرض الخامس أيضاً وستأتي أجوبة أخرى.

الانتساب للإمام صلوات الله وسلامه عليه لا ينسجم مع القواعد الفقهية

ويمكن كذلك إبطال دعوى الانتساب للإمام المهدي صلوات الله وسلامه عليه في الغيبة الكبرى من خلال القواعد العامة التي وضعها علماؤنا لإثبات الانتساب فيما لو ادعى شخص نسباً غير نسبه، أو شكَّ في نسبه، والتي تنص على ان النسب يثبت بعدة طرق هي:

الطريق الأول: إقرار نفس الأب بالولد

والإقرار من قبل الأب بالولد يثبت النسب بينهما ، ويلحق به الابن المجهول النسب بلا خلاف بين العلماء بل ان الإجماع قائم على ذلك قال صاحب كتاب منهاج الهداية : (يثبت النسب بالإقرار بلا خلاف بين العلماء على الظاهر المصرح به في الكفاية وغيره بل في نهاية المرام إجماع العلماء فضلا عن العموم والأخبار الكثيرة في الولد وفيها الصحاح)[1].

ولكن يشترط في هذا الإقرار تحقق عدة شروط :

الشرط الأول : يشترط في الشخص المقر البلوغ والعقل والاختيار ورفع الحجر والقصد.

الشرط الثاني : ويشترط أيضا في إقرار الأب بالولد مطلقا إمكان ذلك عادة مع عدم وجود مانع عقلي أو شرعي يمنع ذلك ولا يكفي مطلق الإقرار ، فلو أقر مثلا ببنوة من هو أكبر منه سنا أو مساوٍ له أو أصغر بما لم تجر العادة بتولد مثله منه لم يقبل إجماعا.

الشرط الثالث : ويشترط أيضا ان يكون الولد المقرُّ به مجهول النسب ، فلو أقر ببنوة مشهور النسب لغيره لم يسمع حتى وإن وافقه الولد على إقراره.

الشرط الرابع : ويشترط أيضا ان يكون موضوع الإقرار هو الولد الصلبي من دون واسطة بينه وبين الأب ، فلا يثبت النسب في غير الولد من ساير الأنساب ، ولو في ولد الولد بمجرد الإقرار بلا خلاف بين العلماء.

---

(١) منهاج الهداية لإبراهيم الكلباسي : ص٤٣٢ .

وثبوت النسب يحتاج إلى الشروط المذكورة، سواء أقر على نفسه بالنسب، أو على غيره كأن يقر بأخ له أو أخت أو عم أو خال[1].

وهذا الطريق من طرق إثبات النسب لا يمكن أن يثبت به نسب من يدعي انه ابن للإمام المهدي صلوات الله وسلامه عليه، وذلك لعدم إمكان ظهور الإمام المهدي صلوات الله وسلامه عليه، وإعلان الإقرار ببنوة ذلك المدعي، لان في ظهوره وإعلانه خرقا لنظام الغيبة التامة وقانونها كما لا يخفى، والمتوقف على أمر محال محال أيضا.

وكذلك لا يمكن ان يثبت النسب بهذا الطريق، لاختلال أكثر من شرط من تلك الشروط التي يجب ان تتوفر في هذا الطريق، منها الشرط الثاني القاضي بعدم وجود مانع عقلي أو شرعي يمنع ذلك الادعاء بالنسب من قبل الأب.

وقد بينا سابقا ان الروايات الشريفة صريحة بعدم وجود ذرية للإمام المهدي في زمن غيبته التامة الكبرى.

وهذه الرواية كافية لصيرورتها مانعا شرعيا يحول بين ذلك المدعي الكاذب، وبين دعواه، وإذا ضممنا إليها ذلك المنهج العام للإمام المهدي صلوات الله وسلامه عليه، والذي بيناه مسبقا، والذي يمكن ان يكون مانعا عقليا، فيصبح المانع أقوى والرفض لدعواه أشد.

وكذلك الحال بالنسبة للشرط الثالث، لأن من يدعي النسب والاتصال الصلبي بالإمام المهدي صلوات الله وسلامه عليه هو ليس بمجهول النسب، حتى يمكن ان

---

(١) راجع هذا القيد وتلك الشروط في إصباح الشيعة بمصباح الشريعة لقطب الدين البيهقي الكيدري: ص٣٣٦ بتصرف بسيط.

يدعي نسبا غير نسبه، وعليه لا يسمع قوله وادعاؤه ما دام مشهور النسب في محل سكناه ومعيشته.

وأيضا ادعاؤه مخالف للشرط الرابع، لان الادعاء إنما يقبل في حال ان الولد يكون من صلب الأب بلا واسطة، ومدعي الانتساب الذي نحن بصدد الرد عليه لا يدعي الانتساب المباشر بالإمام فيكون هذا الشرط منتفيا، وإذا انتفى الشرط انتفى المشروط.

الطريق الثاني: ان يشهد له الأبناء على انه أخوهم

قال الشيخ الطوسي رحمه الله تعالى: (إذا كان الوارث جماعة، فأقر اثنان رجلان أو رجل وامرأتان بنسب، وكانوا عدولا، يثبت النسب ويقاسمهم الميراث... دليلنا: إجماع الفرقة وأخبارهم. وأيضا فإن إقرار الشاهدين على نفوسهما جائز، وشهادتهما على غيرها لا مانع منه)[١].

إذن؛ فإقرار الأخوة، أو بعضهم بنسب أخيهم المجهول النسب يدخله معهم في نفس النسب.

وهذا الطريق أصعب من سابقه، لعدم وجود أبناء ظاهرين من صلب الإمام المهدي صلوات الله وسلامه عليه مقطوع بنسبهم حتى يمكن ان يشهدوا لهذا المجهول النسب بأنه أخوهم، فضلاً عن ان وجود هذا العدد من الأبناء منفي بالرواية التي مرت والتي تنفي وجود الذرية للإمام المهدي صلوات الله وسلامه عليه، وكذلك هي مخالفة للمنهج العام المتبع من قبله صلوات الله وسلامه عليه في غيبته التامة، والذي تقدم الحديث عنه.

---

(١) كتاب الخلاف للشيخ الطوسي: ج٣، ص٣٧٩.

الطريق الثالث: الاستفاضة والشياع المفيدان للعلم

قال السيد الخوئي رحمه الله : (يثبت النسب بالاستفاضة المفيدة للعلم عادة، ويكفي فيها الاشتهار في البلد، وتجوز الشهادة به مستندة إليها)[1].

وهذا الطريق لا يمكن الاعتماد عليه أيضا في إثبات نسب ذلك الضال وارتباطه بالإمام المهدي صلوات الله وسلامه عليه، لان الاستفاضة والشهرة قاضية بأنه منتسب لغير الإمام صلوات الله وسلامه عليه، حتى ان أهل بلده ومدينته يعرفون نسبه الحقيقي مفصلا، ويعرفون إلى أي بيت يرجع، والى أي عشيرة يعود، فشرط الاستفاضة التي تفيد الظن غير متحصلة في المقام، والمشروط عدم عند عدم شرطه.

ثم ان الاستفاضة والشهرة لو ادعاها له مدع، فانها تكون مردودة غير مقبولة، لعدم انسجام الشهرة مع المنهج العام للإمام المهدي صلوات الله وسلامه عليه في الغيبة التامة الكبرى. وعليه تكون كل من القواعد العقلية والروائية والفقهية لا تساعد على إثبات ادعاء وجود الذرية والزوجة للإمام المهدي صلوات الله وسلامه عليه في غيبته الكبرى.

مناقشة أدلة مدعي وجود الذرية في الغيبة الكبرى

قد تشبث مدعي وجود الزوجة والأولاد للإمام المهدي صلوات الله وسلامه عليه في غيبته الكبرى بعدة روايات متشابهة، وأدلة واهية، بذلوا فيها الجهد الجهيد، والسعي الحثيث، لإثبات ما دون إثباته خرط القتاد، والتي كان أكثرها بل كلها مترددا ما بين الوهم والغلط في فهم الروايات الشريفة إما تعمدا أو جهلا، وما بين تلبيس من إبليس أعاذنا الله منه وجميع المؤمنين. وفيما يأتي بعض تلك الشبهات التي سنجمل أو نفصل القول فيها بحسب الحاجة والضرورة.

---

(١) مباني تكملة المنهاج للسيد الخوئي: ج١، ص١١٧، وغيره.

الشبهة الأولى: الزواج مستحب والإمام أولى بفعل المستحب

قال المدعي : إن الزواج والذرية من سنن الله ـ سبحانه وتعالى ـ في خلقه، ومن أخلاق الأنبياء والمرسلين، واستحبابه مؤكد على لسان الآيات الكريمة والروايات الشريفة، وإذا كان الزواج بهذه الدرجة من الأهمية، فالإمام أولى بتطبيقه وتحصيله، وعلى ذلك يكون زواج الإمام المهدي أثناء غيبته التامة الكبرى مؤكداً وقوعه، بل مقطوعاً بحصوله.

ويرد على هذه الشبهة: ان الزواج ليس مستحبا في كل صوره

ان الزواج ليس مستحبا بصورة مطلقة كما يريد ان يوحي إليه ذلك المدعي، بل ان الزواج شأنه شأن كل حادثة تجري عليه الأحكام الخمسة كما تجري في غيره من المواضيع.

قال الشيخ الجواهري قدس الله روحه : (فاعلم أن النكاح إنما يوصف بالاستحباب مع قطع النظر عن العوارض اللاحقة، وإلا فهو بواسطتها تجري عليه الأحكام الأربعة الباقية)[1] والأحكام الخمسة التي يكون عليها الزواج هي :

١ : قد يكون الزواج مستحبا

قال الشيخ الجواهري قدس الله روحه : (النكاح مشروع، بل مستحب لمن تاقت واشتاقت نفسه إليه، من الرجال والنساء كتابا وسنة مستفيضة أو متواترة، وإجماعا بقسميه من المسلمين فضلا عن المؤمنين)[2].

---

(١) جواهر الكلام للشيخ الجواهري : ج٢٩، ص٣٣.

(٢) المصدر السابق : ص٨.

وقال الشيخ احمد الوائلي قدّس الله روحه: (رأي مجموعة من فقهاء الإمامية قالوا: النكاح مستحب في ذاته مع قطع النظر عن الطوارئ، واستحبابه بالكتاب والسنة المتواترة والإجماع)(١).

٢: وقد يكون الزواج واجبا

قال الشيخ الجواهري قدّس الله روحه: (فيجب ـ الزواج ـ مع النذر وشبهه، لرجحانه بالأصل، ومع ظن الضرر بالترك، لوجوب دفع الضرر المظنون، قيل: وعند خوف الوقوع في المحرم بدونه)(٢).

وقال الشيخ سيد سابق: (الزواج الواجب: يجب الزواج على من قدر عليه، وتاقت نفسه إليه، وخشي العنت. لان صيانة النفس وإعفافها عن الحرام واجب، ولا يتم ذلك إلا بالزواج)(٣).

٣: وقد يكون الزواج محرما أو واجب الترك

قال المحقق الاردبيلي قدّس الله روحه: (وربما كان واجب الترك كما إذا أدى إلى معصية أو مفسدة، وعن النبي صلى الله عليه وآله: إذا أتى على أمتي مائة وثمانون سنة من هجرتي فقد حلت لهم العزوبة والعزلة، والترهب على رؤوس الجبال، وفي الحديث: يأتي على الناس زمان لا تنال المعيشة فيه إلا بالمعصية، فإذا كان ذلك الزمان حلت العزوبة... ويفهم من كلامه أن الأمر إذا آل إلى المعصية، يصير

(١) من فقه الجنس في قنواته المذهبية للدكتور الشيخ أحمد الوائلي: ص٦٤.

(٢) جواهر الكلام للشيخ الجواهري: ج٢٩، ص٣٣.

(٣) فقه السنة للشيخ سيد سابق: ج٢، ص١٥.

ذلك حراما، فيكون ما يتوقف ويحصل به الحرام حراما ككون ما يتوقف عليه الواجب واجبا)[١].

وقال الشيخ الجواهري قدّس الله روحه: (ويحرم إذا أفضى إلى الإخلال بواجب، كالحج، ومع الزيادة على الأربع)[٢].

وقال السيد اليزدي قدّس الله روحه:

(وقد يحرم كما إذا أفضى إلى الإخلال بواجب من تحصيل علم واجب أو ترك حق من الحقوق الواجبة...)[٣].

٤: وقد يكون الزواج مكروها

قال الشيخ الجواهري قدّس الله روحه: (النكاح وإن كان مندوبا إلا أنه إذا توقف على مقدمات مكروهة مرجوحة سقط الخطاب باستحبابه حينئذ لا أنه ترتفع مرجوحية المرجوح له)[٤].

وقال الشيخ سيد سابق: (الزواج المكروه: ويكره في حق من يخل بالزوجة في الوطء والإنفاق، حيث لا يقع ضرر بالمرأة، بأن كانت غنية وليس لها رغبة قوية في الوطء. فان انقطع بذلك عن شيء من الطاعات أو الاشتغال بالعلم اشتدت الكراهة)[٥].

---

(١) زبدة البيان للمحقق الأردبيلي: ص٥٠٥.

(٢) جواهر الكلام للشيخ الجواهري: ج٢٩، ص٣٣.

(٣) العروة الوثقى للسيد اليزدي: ج٥، ص٤٧٦.

(٤) جواهر الكلام للشيخ الجواهري: ج٢٩، ص٩.

(٥) فقه السنة للشيخ سيد سابق: ج٢، ص١٨.

٥ : وقد يكون الزواج مباحا

قال الشيخ الجواهري : «ويتصف بالإباحة إذا تضمن ترك النكاح مصلحة تساوي مصلحة الفعل ، فإن ذلك قد يتفق ، كما إذا خاف من تلف مال معتد به له بواسطة التزويج أو تضييع عيال له في محل آخر مع وجود الشهوة وكمال الرغبة»[١] .

وقال الشيخ سيد سابق : «الزواج المباح : ويباح فيما إذا انتفت الدواعي والموانع»[٢] .

وقال الشيخ أحمد الوائلي : «وقد يكون مباحا كما إذا عارضه مستحب آخر يكون مساويا له في المصلحة»[٣] .

وبناء على ما تقدم من أحكام للزواج ، نستطيع أن نقطع بان زواج الإمام المهدي حال غيبته التامة بالشكل الذي يدعيه الخصم ، ليس غير ممكن وحسب بل هو مقطوع بعدمه ، وداخل في حكم واجب الترك ، لما في الإقدام عليه من المفسدة التي تفضي إلى الإخلال بواجب صيانة سرية الغيبة وتماميتها ولزوم صيانة السر وعدم هتكه ، إذ ان وجود الذرية والزوجة مساوق عرفا لانكشاف الحال وكشف السر ، وفي هذا الصدد يقول السيد محمد الصدر قدّس الله روحه : «إن وجود الذرية ملازم عادة لانكشاف أمره والاطلاع على حقيقته. فإن السنين القليلة بل العشرين والثلاثين منها قد تمضي مع جهل زوجته وأولاده بحقيقته ، كما أنه يمكن التخلص

(١) جواهر الكلام للشيخ الجواهري : ج٢٩ ، ص٣٣.

(٢) فقه السنة للشيخ سيد سابق : ج٢ ، ص١٨ .

(٣) من فقه الجنس في قنواته المذهبية للدكتور الشيخ أحمد الوائلي : ص٦٥ .

من الزوجة حين يبدو عليها بوادر الالتفات. ولكن كيف يمكن التخلص من الذرية؟! فإنهم أو بعضهم ـ على أقل تقدير ـ يكونون أحرص الناس على مشاهدة أبيهم وملاحقته أينما ذهب. ومعه يكون دائماً تحت رقابتهم ومشاهدتهم. ومن ثم لا يمكنه الحفاظ على سره العميق زماناً مترامياً طويلا. فإنهم بعد مضي الخمسين أو السبعين عاماً، سوف يلاحظون بكل وضوح عدم ظهور أمارات المشيب والشيخوخة على والدهم وإنه بقي شاباً على شكله الأول، ومن ثم يحتملون على الأقل كونه هو المهدي عليه السلام، أو إنه فرد شاذ لابد من الفحص عنه والتأكد من حقيقته. وبالفحص ومداومة السؤال لابد أن يتوصلوا إلى الاحتمال على أقل التقادير، وهذا مناف مع غيبته وكتمان أمره. وأما لو بقيت ذريته فيكون انكشاف أمره بمقدار من الوضوح)[1].

وهذا الذي قطعنا به مؤيدا بالرواية المروية عن الإمام أبي الحسن الرضا صلوات الله وسلامه عليه حينما دخل عليه علي بن أبي حمزة فقال له: (أنت إمام؟ قال نعم، فقال له: إني سمعت جدك جعفر بن محمد يقول: لا يكون الإمام إلا وله عقب. فقال صلوات الله وسلامه عليه: أنسيت يا شيخ أو تناسيت؟ ليس هكذا قال جعفر، إنما قال جعفر: لا يكون الإمام إلا وله عقب إلا الإمام الذي يخرج عليه الحسين بن علي فإنه لا عقب له فقال له: صدقت جعلت فداك هكذا سمعت جدك يقول)[2].

---

(١) تاريخ الغيبة الكبرى للسيد محمد محمد صادق الصدر: ص٦٣.

(٢) كتاب الغيبة للشيخ الطوسي: ص٢٢٤. بحار الأنوار: ج٢٥ ص٢٥١. دلائل الإمامة لمحمد بن جرير الطبري: ص٤٣٦.

إذن ؛

فدليل الاستحباب الوارد على لسان الآيات الكريمة والروايات الشريفة ، لا يستطيع ان ينهض بما أراد المدعي إثباته من حتمية زواج الإمام المهدي صلوات الله وسلامه عليه ، وحتمية حصول الذرية ، استنادا إلى عموم أدلة استحباب الزواج ، لان هذا العموم كما أوضحنا مقيد بقواعد عامة تسالم عليها المذهب ، إذ مع وجود المفسدة والإخلال بالواجب لا يبقى استحباب للزواج ، وكذلك هو مقيد بالرواية المروية عن الإمام الرضا صلوات الله وسلامه عليه ، وهو مقيد أيضا بالفهم العرفي الذي تم توضيحه من قبل السيد محمد الصدر قدس الله روحه ، وهو مقيد أيضا بالمنهج العام الذي انتهجه الإمام المهدي صلوات الله وسلامه عليه في غيبته التامة الكبرى والقاضي بالتواري الكامل وعدم ترك أي أثر يمكن أن يدل عليه ، وإخفاء كل خبر يمكن أن يوصل إليه ، والزوجة والذرية من أعظم تلك الآثار التي يمكن ان تكشف أمره صلوات الله وسلامه عليه فلا شك في انتفائهما.

الشبهة الثانية: ان الإمام المهدي ليس هو المراد من رواية الإمام الرضا

واعترض مدعي وجود الذرية في زمن الغيبة الكبرى ، ان الإمام الذي ليس له عقب ، والذي ورد ذكره في هذه الرواية التي عن الإمام أبي الحسن الرضا صلوات الله وسلامه عليه حينما دخل عليه علي بن أبي حمزة فقال له : «أنت إمام؟ قال نعم ، فقال له : إني سمعت جدك جعفر بن محمد عليه السلام يقول : لا يكون الإمام إلا وله عقب. فقال عليه السلام : أنسيت يا شيخ أو تناسيت؟ ليس هكذا قال جعفر ، إنما قال جعفر : لا يكون الإمام إلا وله عقب إلا الإمام الذي يخرج

عليه الحسين بن علي عليهما السلام فإنه لا عقب له فقال له: صدقت جعلت فداك هكذا سمعت جدك يقول»[1].

وعلق الخصم على هذه الرواية بالقول: فهذا الذي ليس له عقب هو ليس الإمام الثاني عشر المهدي محمد بن الحسن صلوات الله وسلامه عليه، بل هو آخر المهديين الذين سيحكمون بعد الإمام المهدي صلوات الله وسلامه عليه والذين هم من ذريته، فيكون الإمام المهدي صلوات الله وسلامه عليه غير مشمول بقول الإمام الرضا صلوات الله وسلامه عليه وإذا ثبت عدم شمول الإمام بهذه الرواية يثبت إمكان ان يكون للإمام المهدي صلوات الله وسلامه عليه ذرية في غيبته الكبرى.

ويرد على هذه الشبهة عدة أمور مهمة منها:

الأمر الأول: إن أدلة نفي الذرية لا تنحصر بهذه الرواية

ان وجود الذرية والعقب للإمام لا يثبت حتى مع عدم الأخذ بهذه الرواية، لأن وجود الذرية معارض بأدلة أخرى عقلية ونقلية مهمة لا يمكن التغاضي عنها أو تجاهلها وقد بينا بعضها، وسنبين البعض الآخر لاحقا.

الأمر الثاني: لقب الإمام لا يطلق إلا على الأئمة الاثني عشر صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين

قول المدعي بان الإمام الذي يخرج عليه الإمام الحسين بن علي صلوات الله وسلامه عليه هو غير الإمام محمد بن الحسن المهدي صلوات الله وسلامه عليه هو محض تخرص وتزوير للحقائق، وذلك لأن رواية علي بن حمزة صرحت بقول: «...لا

---

(١) كتاب الغيبة للشيخ الطوسي: ص٢٢٤. بحار الأنوار: ج٢٥ ص٢٥١. دلائل الإمامة لمحمد بن جرير الطبري: ص٤٣٦.

يكون الإمام إلا وله عقب إلا الإمام الذي يخرج عليه الحسين بن علي فإنه لا عقب لـه...» ولفـظ الإمـام مختص في هـذه الأحاديـث بالأئمـة الاثـني عـشر صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وهؤلاء المهديون الذين سيلون الأمر من بعد الإمام المهدي لو سلمنا بوجودهم فعلا، لا يطلق عليهم أئمة بل يطلق عليهم مهديون، والرواية صريحة في هذا المعنى فعن أبي بصير قال:

«قلت للصادق جعفر بن محمد عليهما السلام: يا ابن رسول الله إني سمعت من أبيك عليه السلام أنه قال: يكون بعد القائم اثنا عشر مهديا فقال: إنما قال اثنا عشر مهديا ولم يقل: اثنا عشر إماماً، ولكنهم قوم من شيعتنا يدعون الناس إلى موالاتنا ومعرفة حقنا»[١].

وبما أن الرواية السابقة ذكرت وصف الإمام للذي يخرج عليه الحسين بن علي صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين فيكون المقصود منه قطعا هو الإمام الثاني عشر محمد بن الحسن المهدي لا غيره من المهديين، لأن هؤلاء مهديون وليسوا أئمة.

الأمر الثالث: وقوع الرجعة في زمن الإمام المهدي صلوات الله وسلامه عليه لا في زمن غيره

إجماع الشيعة منعقد على أن الرجعة إنما تقع في وقت ظهور الإمام محمد بن الحسن المهدي صلوات الله وسلامه عليه، وقد نقل هذا الإجماع السيد الشريف المرتضى قدس الله روحه بقوله: (اعلم ان الذي تذهب الشيعة الإمامية إليه أن الله تعالى يعيد عند ظهور إمام الزمان المهدي عليه السلام قوماً ممن كان قد تقدم موته من شيعته ليفوزوا بثواب نصرته ومعونته ومشاهدة دولته. ويعيد أيضاً قوماً من أعدائه لينتقم منهم...)[٢].

(١) كمال الدين وتمام النعمة للشيخ الصدوق: ص٣٥٨.

(٢) رسائل المرتضى: ج١، ص١٢٥. ومثله في بحار الأنوار: ج٥٣، ص١٢٦. مجمع البيان: ج٧، ص٤٠٥.

وقال الشيخ المفيد قدّس الله روحه:

(إن الله تعالى يرد قوما من الأموات إلى الدنيا في صورهم التي كانوا عليها فيعز منهم فريقاً ويذل فريقاً ويديل المحقين من المبطلين والمظلومين منهم من الظالمين، وذلك عند قيام مهدي آل محمد عليهم وعليه السلام...)[١].

وهذا الإجماع من الشيعة مؤيد بروايات عدة منها ما روي عن الصادق صلوات الله وسلامه عليه أنه قال في الرجعة:

«إنما يرجع إلى الدنيا عند قيام القائم عليه السلام من محض الإسلام محضاً أو محض الكفر محضاً، فأما ما سوى هذين فلا رجوع لهم إلى يوم المآب»[٢].

وعن المفضل بن عمر قال:

«ذكرنا القائم عليه السلام ومن مات من أصحابنا تنتظره، فقال لنا أبو عبد الله ـ الصادق عليه السلام ـ: إذا قام أتي المؤمن في قبره فيقال له يا هذا إنه قد ظهر صاحبك، فإن تشأ أن تلحق به فالحق وإن تشأ أن تقيم في كرامة ربك فأقم»[٣].

فيتبين أن الرجعة إنما تقع في زمن ظهور الإمام المهدي صلوات الله وسلامه عليه لا في زمن غيره من أولاده ان ثبت لهم وجود كما أراد أن يصوره المدعي.

---

(١) أوائل المقالات للشيخ المفيد: ص٧٨.

(٢) بحار الأنوار: ج٦، ص٦٥٤ وج ٥٨، ص٨٢. معجم أحاديث الإمام المهدي للشيخ الكوراني: ج٤، ص٨٣.

(٣) معجم أحاديث الإمام المهدي للكوراني: ج٤، ص٧٩.

الأمر الرابع: الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه أول من يرجع إلى الدنيا

فضلاً عن تلك الروايات العامة في حصول الرجعة بشكل عام، توجد روايات خاصة تنص على أن الحسين عليه السلام إنما يرجع في زمن الإمام المهدي صلوات الله وسلامه عليه بالتحديد، فعن حمران عن أبي جعفر الباقر صلوات الله وسلامه عليه انه قال:

«إن أول من يرجع لجاركم الحسين عليه السلام فيملك حتى تقع حاجباه على عينيه من الكبر»[1].

وعن الإمام الصادق صلوات الله وسلامه عليه حينما سئل عن الرجعة أحق هي؟ قال:

«نعم، فقيل له: من أول من يخرج؟ قال: الحسين يخرج على أثر القائم عليه السلام، قلت: ومعه الناس كلهم؟ قال: لا بل كما ذكر الله تعالى في كتابه:

﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا﴾[2].

قوم بعد قوم»[3].

وعنه صلوات الله وسلامه عليه انه قال:

«ويقبل الحسين في أصحابه الذين قتلوا معه ومعه سبعون نبياً كما بعث مع موسى بن عمران عليه السلام، فيدفع إليه القائم عليه السلام الخاتم

(١) بحار الأنوار: ج٥٣، ص٤٤. مختصر بصائر الدرجات: ص٢٧. معجم أحاديث الإمام المهدي: ج٣، ص٣٣٢.

(٢) سورة النبأ، الآية: ١٨.

(٣) بحار الأنوار: ج٥٣، ص١٠٣. الفصول المهمة في أصول الأئمة: ج١، ص٣٩٧.

فيكون الحسين عليه السلام هو الذي يلي غسله وكفنه وحنوطه ويواري به في حفرته»[١].

فتبين مما سبق أن الرجعة تكون في زمن محمد بن الحسن الإمام الثاني عشر من أئمة أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين لا في زمن غيره من أولاده المهديين الذين سيولدون بعد ظهوره صلوات الله وسلامه عليه إن صح لهم وجود أصلا، وأن أول من سيرجع من الأموات هو الحسين بن علي صلوات الله وسلامه عليه، وإن من يقول عكس ذلك فإنه يقول بلا دليل، والروايات التي ذكرناها وغيرها مما لم نذكره حجة عليه، فيثبت بذلك صحة رواية فقدان العقب والذرية للإمام المهدي صلوات الله وسلامه عليه حال غيبته الكبرى.

الشبهة الثالثة من شبهات إثبات الذرية للإمام صلوات الله وسلامه عليه

وحاول مدعي وجود الذرية في زمن الغيبة الكبرى أن يستدل بما روي:

عن أبي عبد الله الحسين بن علي بن سفيان البزوفري، عن علي بن سنان الموصلي العدل، عن علي بن الحسين، عن أحمد بن محمد بن الخليل، عن جعفر بن أحمد المصري، عن عمه الحسن بن علي، عن أبيه، عن أبي عبد الله جعفر بن محمد، عن أبيه الباقر، عن أبيه ذي الثفنات سيد العابدين، عن أبيه الحسين الزكي الشهيد، عن أبيه أمير المؤمنين عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم - في الليلة التي كانت فيها وفاته - لعلي عليه السلام: يا أبا الحسن أحضر صحيفة ودواة - فأملى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وصيته حتى انتهى إلى هذا الموضع - فقال: يا علي إنه سيكون بعدي اثنا عشر إماما ومن بعدهم إثنا عشر مهديا، فأنت

---

(١) بحار الأنوار: ج٥٣، ص١٠٣. معجم أحاديث الإمام المهدي: ج٤، ص٨٩.

يا علي أول الاثني عشر إماما سماك الله تعالى في سمائه: عليا المرتضى، وأمير المؤمنين، والصديق الأكبر، والفاروق الأعظم، والمأمون، والمهدي، فلا تصح هذه الأسماء لأحد غيرك. يا علي أنت وصيي على أهل بيتي حيهم وميتهم، وعلى نسائي: فمن ثبتها لقيتني غدا، ومن طلقتها فأنا بريء منها، لم ترني ولم أرها في عرصة القيامة، وأنت خليفتي على أمتي من بعدي. فإذا حضرتك الوفاة فسلمها إلى ابني الحسن البر الوصول، فإذا حضرته الوفاة فليسلمها إلى ابني الحسين الشهيد الزكي المقتول، فإذا حضرته الوفاة فليسلمها إلى ابنه سيد العابدين ذي الثفنات علي، فإذا حضرته الوفاة فليسلمها إلى ابنه محمد الباقر، فإذا حضرته الوفاة فليسلمها إلى ابنه جعفر الصادق، فإذا حضرته الوفاة فليسلمها إلى ابنه موسى الكاظم، فإذا حضرته الوفاة فليسلمها إلى ابنه علي الرضا، فإذا حضرته الوفاة فليسلمها إلى ابنه محمد الثقة التقي، فإذا حضرته الوفاة فليسلمها إلى ابنه علي الناصح، فإذا حضرته الوفاة فليسلمها إلى ابنه الحسن الفاضل، فإذا حضرته الوفاة فليسلمها إلى ابنه محمد المستحفظ من آل محمد عليهم السلام. فذلك اثنا عشر إماما، ثم يكون من بعده اثنا عشر مهديا، فإذا حضرته الوفاة فليسلمها إلى ابنه أول المقربين له ثلاثة أسامي: اسم كاسمي واسم أبي وهو عبد الله وأحمد، والاسم الثالث: المهدي، هو أول المؤمنين»[1].

وجه الاستدلال بهذه الرواية على إثبات الذرية

هو في قوله صلوات الله عليه وعلى آله: (فذلك اثنا عشر إماما، ثم يكون من بعده اثنا عشر مهديا، فإذا حضرته الوفاة فليسلمها إلى ابنه أول المقربين له ثلاثة أسامي: اسم كاسمي واسم أبي وهو عبد الله وأحمد، والاسم الثالث: المهدي، هو أول

(١) كتاب الغيبة للشيخ الطوسي: ص١٥٠ – ١٥١.

المؤمنين) فالرواية تذكر ان هنالك اثني عشر إماما ومن بعدهم اثنا عشر مهديا وان أول المهديين هو ابن الإمام محمد بن الحسن المهدي صلوات الله وسلامه عليه، وهو من ستسلم له الأمور من بعد الإمام المهدي صلوات الله وسلامه عليه.

ووفقا لذلك أراد المدعي أن يستفيد من الجو العام للرواية، ليدعي بانه المقصود بوصف أول المهديين، ومن سيتسلم زمام الأمور من بعد خروج أبيه الإمام المهدي صلوات الله وسلامه عليه، وهو مكلف من قبله بالتمهيد، وبسط الأمور، وتهيئة الأرضية للظهور، ولذلك أرسله الإمام المهدي صلوات الله وسلامه عليه إرسالا خاصا، ومنحه منزلة السفارة الخاصة في زمان الناس هذا.

ويرد على هذه الشبهة عدة وجوه منها:

الوجه الأول: ليس في الرواية إشارة إلى وجود الذرية في الغيبة الكبرى

لو تغاضينا عن كل نقاط الضعف في هذه الرواية، والتي سيأتي الكلام عن بعضها لاحقا، وحكمنا عليها جدلا بالصحة، فهي مع ذلك ليس فيها أي إشارة لا من قريب ولا من بعيد على وجود الولد للإمام المهدي صلوات الله وسلامه عليه في عصر غيبته الكبرى، وان غاية ما يستفاد منها هو وجود الولد حال حضور موته صلوات الله وسلامه عليه، ويمكن مع ذلك حملها على وجود ذلك الولد بعد ظهوره صلوات الله وسلامه عليه، لان وجود الزوجة والولد بعد الظهور غير مشمول بتلك التحفظات التي مرت، بعكس وجودهم قبل الظهور، فيتعين حينئذ حمل وجود الولد في الرواية على ما بعد الظهور، لعدم وجود معارض شرعي ولا عقلي يمنع من وجوده حينئذ.

ثم ان الفترة التي سيقضيها الإمام المهدي صلوات الله وسلامه عليه في الحكم بعد ظهوره كافية في وجود هذا الولد، وبلوغه سنا يمكن معها ان يتسلم منصب المهدي الإرشادي الذي سيأتي في النقطة الخامسة توضيحه، لان الإمام المهدي صلوات الله وسلامه عليه ـ كما صرحت به الروايات ـ سيبقى في الحكم مدة طويلة.

فقد روى عبد الكريم الخثعمي قال:

قلت لأبي عبد الله صلوات الله وسلامه عليه كم يملك القائم عليه السلام فقال صلوات الله وسلامه عليه:

«سبع سنين تطول له الأيام والليالي حتى تكون السنة من سنيه مقدار عشر سنين من سنيكم، فيكون سنو ملكه سبعين سنة من سنيكم هذه...»(١).

الوجه الثاني: الرواية ضعيفة باعتراف العلماء

هنالك جملة من المحققين حكموا على هذه الرواية التي نقلها الشيخ الطوسي قدّس الله روحه بالضعف تارة وبالشذوذ تارة أخرى وبالندرة والقلة تارة ثالثة، وسنذكر فيما يأتي جملة من أقوالهم.

قال الحر العاملي قدّس الله روحه: (وأما أحاديث الاثني عشر بعد الاثني عشر، فلا يخفى أنها غير موجبة للقطع واليقين لندورها وقلتها، وكثرة معارضتها كما أشرنا إلى بعضه، وقد تواترت الأحاديث بأن الأئمة اثنا عشر، وأن دولتهم ممدودة إلى يوم القيامة، وأن الثاني عشر خاتم الأوصياء والأئمة والخلف)(٢).

---

(١) الإرشاد للشيخ المفيد: ج٢، ص٣٨١.

(٢) الإيقاظ من الهجعة بالبرهان على الرجعة للحر العاملي: ص٣٦٨.

وقال قدس الله روحه أيضا: (ولا يخفى أن الحديث المنقول أولا من "كتاب الغيبة" من طرق العامة، فلا حجة فيه في هذا المعنى، وإنما هو حجة في النص على الاثني عشر، لموافقته لروايات الخاصة، وقد ذكر الشيخ بعده وبعد عدة أحاديث أنه من روايات العامة، والباقي ليس بصريح. وقد تقدم في الحديث السادس والتسعين من الباب السابق ما هو صريح في أن المهدي ـ عليه السلام ـ ليس له عقب)[١].

وقال علي بن يونس العاملي: (الرواية بالاثني عشر بعد الاثني عشر شاذة ومخالفة للروايات الصحيحة المتواترة الشهيرة بأنه ليس بعد القائم دولة، وانه لم يمض من الدنيا إلا بعد أربعين يوما فيها الهرج وعلامة خروج الأموات وقيام الساعة...)[٢].

وقال السيد سامي البدري: (الرواية التي أوردها الطوسي في كتابه الغيبة انه "سيكون بعد الاثني عشر إماما اثنا عشر مهديا" وهي رواية وحيدة وضعيفة السند بل إمارات الوضع ظاهرة عليها، وهي معارضة من قبل الروايات التي تجعل من عهد ظهور المهدي وظهور عيسى عليه السلام آخر شوط من الحياة الدنيا)[٣].

الوجه الثالث: تعارض فقرات الرواية ومضامينها وتضاربهما

ما بين فقرات هذه الرواية تعارض لا يمكن الغفلة عنه، وكذلك التعارض حاصل ما بينها وبين باقي الروايات التي حكم بصحتها، ومن هذه الفقرات قوله صلى الله عليه وآله وسلم: (فأنت يا علي أول الاثني عشر إماما سماك الله تعالى في سمائه:

---

(١) المصدر السابق.

(٢) الصراط المستقيم لعلي بن يونس العاملي: ج٢، ص١٥٢.

(٣) شبهات وردود للسيد سامي البدري: ج١، ص٤٨.

عليا المرتضى، وأمير المؤمنين، والصديق الأكبر، والفاروق الأعظم، والمأمون، والمهدي، فلا تصح هذه الأسماء لأحد غيرك) وبناء على هذا المقطع من الرواية لا يصح إطلاق لقب المهدي على غير أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه، بينما نجد روايات كثيرة أطلقت هذا اللقب على باقي الأئمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، منها ما عن الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه انه قال:

«منا اثنا عشر مهديا، أولهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وآخرهم التاسع من ولدي، وهو القائم بالحق»(١).

ومنها ما عن أبي بصير عن أبي عبد الله صلوات الله وسلامه عليه قال:

«سمعته يقول: منا اثنا عشر مهديا مضى ستة وبقى ستة ويصنع الله في السادس ما أحب»(٢).

بل إن نفس الرواية التي استدل بها المدعي تنص على ان لقب المهدي يمكن أن يطلق على غير الإمام علي صلوات الله وسلامه عليه لأنها قالت: (... **فإذا حضرته الوفاة فليسلمها إلى ابنه محمد المستحفظ من آل محمد عليهم السلام. فذلك اثنا عشر إماما، ثم يكون من بعده اثنا عشر مهديا**) وإطلاق لقب المهدي على هؤلاء معارض ومتناقض مع قوله صلوات الله وسلامه عليه لو ثبت: (... **والمهدي، فلا تصح هذه الأسماء لأحد غيرك**) والتناقض في الرواية سواء كان في نفس المتن، أو مع روايات أخرى ثبتت صحتها، يوجب ضعف هذه الرواية المتناقضة فيتعين حينئذ تركها وعدم العمل والاعتماد على مضمونها، فتسقط بذلك عن الاعتبار.

---

(١) الإمامة والتبصرة لابن بابويه القمي: ص٢.

(٢) عيون أخبار الرضا للشيخ الصدوق: ج٢، ص٦٩.

الوجه الرابع: لا دولة بعد دولة الإمام المهدي صلوات الله وسلامه عليه

الرواية التي استشهد بها المدعي توحي بل تنص على ان هنالك دولة ستقام من قبل هؤلاء الممهدين بعد دولة الإمام المهدي عليه السلام وهذا مخالف لما تسالمت عليه الإمامية، وقد صرح بمنعه غير واحد من أعلام المذهب، وأكدوا على ان ليس لأحد دولة بعد دولة الإمام محمد بن الحسن والأئمة الاثني عشر صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وفي هذا الصدد يقول الشيخ الطبرسي قدّس الله روحه: (قد جاءت الرواية الصحيحة أنه ليس بعد دولة المهدي عليه السلام دولة، إلا ما ورد من قيام ولده مقامه إن شاء الله ذلك ولم ترد على القطع والبت، وأكثر الروايات أنه لن يمضي عليه السلام من الدنيا إلا قبل القيامة بأربعين يوما، يكون فيها الهرج، وعلامة خروج الأموات، وقيام الساعة)[١].

وقال الشيخ المفيد: (ليس بعد دولة القائم لأحد دولة)[٢]، وقال علي بن يونس العاملي: (الرواية بالاثني عشر بعد الاثني عشر شاذة ومخالفة للروايات الصحيحة المتواترة الشهيرة بأنه ليس بعد القائم دولة، وانه لم يمض من الدنيا إلا بعد أربعين يوما فيها الهرج وعلامة خروج الأموات وقيام الساعة...)[٣].

الوجه الخامس: هل ستخلو الأرض من الإمام بعد الإمام المهدي صلوات الله وسلامه عليه؟

يفهم من الرواية المتقدمة التي استشهد بها المدعي ان الأرض من بعد الإمام المهدي أرواحنا فداه ستخلو من وجود الأئمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، لأنها تأمر الإمام المهدي فيما إذا حضرته الوفاة بتسليم الأمر إلى ولده.

---

(١) إعلام الورى بأعلام الهدى للشيخ الطبرسي: ج٢، ص٢٩٥.

(٢) الإرشاد للشيخ المفيد: ج٢، ص٣٨٧، سيرة القائم عليه السلام عند قيامه.

(٣) الصراط المستقيم لعلي بن يونس العاملي: ج٢، ص١٥٢.

وخلو الأرض من إمام مخالف ومعارض بكثير من الروايات الصحيحة الصريحة التي نصت على ان الأرض لا يمكن أن تخلو منهم، أو من أحدهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين على أقل التقادير، منها ما عن أبي عبد الله الصادق صلوات الله وسلامه عليه حيث قال:

«لو كان الناس رجلين لكان أحدهما الإمام ـ عليه السلام ـ، وقال: إن آخر من يموت الإمام ـ عليه السلام ـ لئلا يحتج أحد على الله أنه تركه بغير حجة لله عليه»[(١)].

وقال صلوات الله وسلامه عليه أيضا:

«لو بقي اثنان لكان أحدهما الحجة على صاحبه»[(٢)].

وقال عليه السلام أيضا:

«لو لم يكن في الأرض إلا اثنان لكان الإمام أحدهما»[(٣)].

فكل الروايات السابقة كما ترى تكذب ما استشهد به المدعي؛ إذ أنها تؤكد على عدم خلو الأرض من إمام يقيم الحجة ويهدي إلى الطريق المستقيم، حتى لو لم يبق على وجه الأرض إلا شخصان، وانه صلوات الله وسلامه عليه آخر من يموت.

وربما يحاول المدعي أنْ يثبت بان هؤلاء الاثني عشر مهديا سيكونون أئمة على بقية الخلق، وبهذا سوف لن تنقطع الإمامة، وعليه فلا تعارض ما بين الرواية التي استشهد بها المدعي، وما بين تلك التي تنص على ان الأرض لا تخلو من إمام.

---

(١) الكافي للشيخ الكليني: ج١، ص١٨٠، باب معرفة الإمام والرد إليه الحديث رقم ٣.

(٢) المصدر السابق الحديث رقم ٢.

(٣) المصدر السابق الحديث رقم ٥.

وهذا الاعتراض غير وارد البتة، ولا يرفع أو يحل الإشكال، إذ لا يمكن لهؤلاء المهديين الاثني عشر أن يكونوا أئمة، لوجود نص صريح ينفي كونهم أئمة فعن أبي بصير قال:

«قلت للصادق جعفر بن محمد عليهما السلام يا ابن رسول الله إني سمعت من أبيك عليه السلام أنه قال: يكون بعد القائم اثنا عشر مهديا فقال: إنما قال: اثنا عشر مهديا، ولم يقل: اثنا عشر إماما، ولكنهم قوم من شيعتنا يدعون الناس إلى موالاتنا ومعرفة حقنا»(١).

وعليه فان لم يكونوا أئمة، فلابد أن يكون إمام من الأئمة الاثني عشر صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين موجودا معهم، لكي لا تخلو الأرض من حجة، فيستقر ما أثبتناه في الإشكال الخامس، ويندفع اعتراض المدعي.

من هنا جاءت الروايات الشريفة متحدثة عن حصول رجعة لبعض الأئمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين أو كلهم بعد موت الإمام المهدي صلوات الله وسلامه عليه، وان أول من سيرجع هو الحسين بن علي صلوات الله وسلامه عليهما، فعن الإمام الصادق صلوات الله وسلامه عليه حينما سئل عن الرجعة أحق هي؟ قال:

«نعم، فقيل له: من أول من يخرج؟ قال: الحسين يخرج على أثر القائم عليه السلام، قلت: ومعه الناس كلهم؟ قال: لا، بل كما ذكر الله تعالى في كتابه:

﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا﴾(٢).

---

(١) كمال الدين وتمام النعمة للشيخ الصدوق: ص٣٥٨.

(٢) سورة النبأ، الآية: ١٨.

قوم بعد قوم»[١].

وإذا «جاء الحجة الموت، فيكون الذي يغسله ويكفنه ويحنطه ويلحده في حفرته الحسين بن علي عليهما السلام، ولا يلي الوصي إلا الوصي»[٢].

ومن غير المعقول أن يكون أحد الأئمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين موجوداً ويتقدم عليه غيره بالولاية والحكم، فبوصفهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين الفرد الأكمل والأفضل لا يمكن أن يتقدم أحد عليهم، حتى أولئك المهديون لو سلمنا بوجودهم، لان فيه تقديما للمفضول على الفاضل، وهو قبيح عقلا وشرعا وعرفا.

ومقام الإمامة والحجية ومرتبة الريادة والاصطفاء والتقدم محفوظة للائمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين بعد رجعتهم حتى على الأنبياء والرسل الذين سيرجعون بعد قيام الإمام المهدي صلوات الله وسلامه عليه، فقد روي عن الإمام الصادق صلوات الله وسلامه عليه أنه قال:

«ويقبل الحسين عليه السلام في أصحابه الذين قتلوا معه ومعه سبعون نبيا كما بعثوا مع موسى بن عمران عليه السلام، فيدفع إليه القائم الخاتم، فيكون الحسين عليه السلام هو الذي يلي غسله وكفنه وحنوطه ويواري به في حفرته»[٣].

---

(١) بحار الأنوار: ج٥٣، ص١٠٣. الفصول المهمة في أصول الأئمة: ج١، ص٣٩٧.

(٢) الكافي للشيخ الكليني: ج٨، ص٢٠٦، في تسيير عثمان أبا ذر إلى الربذة.

(٣) مختصر بصائر الدرجات للحسين بن سليمان الحلي: ص٤٨، في الفهرس تحت عنوان الحسين هو الذي يلي غسل القائم بعد موته، وراجع الإيقاظ من الهجعة بالبرهان على الرجعة للحر العاملي: ص٣٣٨، في الفهرس تحت عنوان أمير المؤمنين صديق هذه الأمة.

فإذا لم يكن للأنبياء والرسل وفيهم أولي العزم وأصحاب الشرائع حق في التقدم عليهم، فكيف يصير لهؤلاء المهديين حق في ذلك لو سلمنا بوجودهم، وهم بلا شك اقل مرتبة وأدنى منزلة من أنبياء الله وأولي العزم من رسله وأصفيائه.

ثم فوق كل ما مر فالروايات الشريفة صريحة في أن أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين هم من سيملك الأرض، ويحكمها من بعد الإمام المهدي، ولسنين طويلة من غير أن يوجد ذكر لهؤلاء المهديين في هذه الروايات، فقد روي عن جابر الجعفي قال: سمعت أبا جعفر صلوات الله وسلامه عليه يقول:

«والله ليملكن منا أهل البيت رجل بعد موته ثلاثمائة سنة ويزداد تسعا قلت: متى يكون ذلك؟ قال: بعد القائم عليه السلام»[١].

وقول الإمام الباقر صلوات الله وسلامه عليه بعد القائم دليل على ان من سيحكم بعد الإمام المهدي صلوات الله وسلامه عليه هو الحسين بن علي صلوات الله وسلامه عليه وليس ابنه كما يريد أن يثبته ذلك المدعي، وفي هذا الصدد يقول العلامة المجلسي: (إن الحسين بن علي عليهما السلام هو الذي يغسل المهدي ويحكم بعده في الدنيا ما شاء الله، ويجب على من يقر لآل محمد صلى الله عليه وعليهم بالإمامة وفرض الطاعة، أن يسلم إليهم فيما يقولون، ولا يرد شيئا من حديثهم المروي عنهم إذا لم يخالف الكتاب والسنة)[٢].

---

(١) كتاب الغيبة للشيخ الطوسي: ص٤٧٩، فصل في ذكر بعض منازله وصفاته وسيرته عليه السلام الحديث رقم ٥٠٤.

(٢) بحار الأنوار للعلامة المجلسي: ج٥٣، ص١١٥. ومثله في مختصر بصائر الدرجات للحسن بن سليمان الحلبي: ص٢١١، في وجوب التقية في زمن حكام الجور.

الوجه السادس: هل يمكن لنا فهم الرواية بطريقة ثانية؟

ويمكن لنا لو تغاضينا عن كل نقاط الضعف في هذه الرواية، وجمعنا بينها وبين باقي الروايات التي تقدم ذكر بعضها، ان نتعرف على معنى جديد لهذه الرواية، فهي إن صحت تريد ان تبين عدة أمور مهمة منها:

الأمر الأول: إذا جمعنا بين هذه الرواية التي وصفت هؤلاء الاثني عشر بالمهديين، وبين تلك الروايات التي وصفت الأئمة الأربعة عشر بالمهديين وحصرت هذا اللقب بهم دون الآخرين، نستنتج ان لقب المهدي يطلق عليهم بالأصالة وعلى غيرهم بالتبع.

وبعبارة أخرى لا يجمع بين مقام الإمامة والمهدوية إلا اثنا عشر شخصاً؛ أولهم الإمام علي بن أبي طالب وآخرهم الإمام محمد بن الحسن صلوات الله وسلامه عليه، أما غيرهم فيمكن أن يكون مهديا ولكن ليس بإمام[1]، والى هذا المعنى يشير الإمام الصادق صلوات الله وسلامه عليه: (...إنما قال: اثنا عشر مهديا،

---

(١) هنالك روايات شريفة أطلقت لفظ المهدية على السيدة فاطمة الزهراء سلام الله عليها، منها ما عن النبي صلى الله عليه وآله في رواية انه صلى الله عليه واله قال لها مخاطبا لها وواصفا إياها: (... موفقة رشيدة مهدية ملهمة...) راجع بحار الأنوار للعلامة المجلسي ج٢٢ ص٤٩٢، في وصيته صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام بالغسل، فهي صلوات الله عليها مهدية ولكنها ليست إماما، فليس كل من أطلق عليه لقب المهدي أصبح إماما، بل قد جاء في إحدى توقيعات الإمام المهدي عليه السلام وصفه للفرقة الناجية المتمسكة بولايته سلام الله عليه بأنها مهدية، فقال عليه السلام: (... اعتصموا بالتقية من شب نار الجاهلية، يحششها عصب أموية تهول بها فرقة مهدية انا زعيم بنجاة من لم يرم منها المواطن الخفية...) راجع بحار الأنوار فيما خرج من الناحية المقدسة للشيخ المفيد: ج٥٣، ص١٧٥.

ولم يقل: اثنا عشر إماما...)[١]، ولكن هذا المقام لا يعطى لكل من هب ودب بل لابد فيه من نصّ لأحدهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين يشير إلى تنصيب ذلك الشخص بهذا المنصب وإليه أشار الحديث: (... ثم يكون من بعده اثنا عشر مهديا، فإذا حضرته الوفاة فليسلمها إلى ابنه أول المقربين له ثلاثة أسامي...) فلا يصح ادعاء منصب المهدوية من دون تنصيب وتسليم من أحدهم عليهم السلام، فمن يدعي اليوم انه ابن الإمام المهدي صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وانه أول المهديين، لابد أن يطالب بالنص الصريح القطعي الملموس من قبل الإمام المهدي صلوات الله وسلامه عليه، ولا يمكن ذلك إلا بظهوره صلوات الله وسلامه عليه واستحكام ملكه ومقدرته التصريح بالنص وإعلان التنصيب، وكل هذا مستحيل في عصر غيبته الكبرى التامة.

الأمر الثاني: بناء على صحة الرواية، وفيما لو جمعنا بينها وبين غيرها من الروايات، فانه يتبين لنا بوضوح أنّ مقام المهدي ولقبه له مصداقان أو إطلاقان:

١ . هو المهدي الإمام، أو المهدي القائد، أو المهدي ذو السلطة التنفيذية، والذي بيّنا انه لا يناله إلا الاثنا عشر معصوما صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

٢ . والمصداق الثاني هو المهدي ذو المقام التثقيفي، أو المهدي ذو المقام الإرشادي، والذي تنحصر وظيفته في دعوة الناس في زمن حكم الإمام المهدي صلوات الله وسلامه عليه أو في زمن رجعة غيره من الأئمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وحكمهم إلى موالاتهم ومعرفة حقهم، وإليه يشير قول الإمام الصادق صلوات الله وسلامه عليه:

«ولكنهم قوم من شيعتنا يدعون الناس إلى موالاتنا ومعرفة حقنا»[٢].

---

(١) كمال الدين وتمام النعمة للشيخ الصدوق: ص٣٥٨.

(٢) كمال الدين وتمام النعمة للشيخ الصدوق: ص٣٥٨.

والـذي يظهـر لـي مـن عبـارة الإمـام صلوات الله وسلامه عليه: **(ولكنهم قوم من شيعتنا)** ان هـؤلاء الاثـني عـشر مهـديا ليـسوا كلـهم مـن أولاد الإمـام المهـدي صلوات الله وسلامه عليه، كما يريد المدعي تركيزه في أذهان الناس، بـل يمكـن لغيرهـم أن ينالوا هذا المقام، فيما لو كانت لهم اللياقة والأهلية للتصدي لهذا المنصب.

الشبهة الرابعة من شبهات إثبات وجود الذرية للإمام المهدي

واستشهد المدعي بما رواه الشيخ الطوسي في كتابه الغيبة عن المفضل بن عمر قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول:

«إن لصاحب هذا الأمر غيبتين إحداهما تطول حتى يقول بعضهم: مات، ويقول بعضهم: قتل، ويقول بعضهم: ذهب، حتى لا يبقى على أمره من أصحابه إلا نفر يسير لا يطلع على موضعه أحد من ولده ولا غيره إلا المولى الذي يلي أمره»[1].

ووجه الاستدلال بهذه الرواية:

هو في قوله:

(لا يطلع على موضعه أحد من ولده ولا غيره) إذ إن ذكر الولد في أثناء الغيبة الكبرى دال على وجوده.

ويرد على هذا الدليل عدة أمور منها:

الأمر الأول: وجود التصحيف في هذه الرواية

ان هـذه الروايـة الـتي ذكرهـا الـشيخ الطوسـي قدّس الله روحه قـد جـرى فيهـا التصحيف، الذي قد يكون من الرواة أنفسهم أو من النساخ، والتصحيف هو

(١) الغيبة للشيخ الطوسي: ص١٦١ - ١٦٢.

تغيير اللفظ حتى يتغير المعنى وتصحفت الكلمة أو الصحيفة تغيرت إلى خطأ[١]، والتصحيف هنا واقع في كلمة (ولده) لان الشيخ النعماني قدّس الله روحه ذكر عين هذه الرواية بلفظ آخر فقال:

«عن المفضل بن عمر الجعفي، عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام، قال: إن لصاحب هذا الأمر غيبتين: إحداهما تطول حتى يقول بعضهم: مات، وبعضهم يقول: قتل، وبعضهم يقول: ذهب، فلا يبقى على أمره من أصحابه إلا نفر يسير، لا يطلع على موضعه أحد من ولي ولا غيره، إلا المولى الذي يلي أمره»[٢].

وقد روى الشيخ الطوسي قدّس الله روحه أيضا رواية ثانية تحمل نفس المضمون، من دون ذكر لكلمة الولد فقال عليه الرحمة والرضوان في كتابه الغيبة عن المفضل بن عمر رضوان الله تعالى عليه قال:

«سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إن لصاحب هذا الأمر غيبتين إحداهما أطول من الأخرى حتى يقال: مات، وبعض يقول: قتل، فلا يبقى على أمره إلا نفر يسير من أصحابه، ولا يطلع أحد على موضعه وأمره ولا غيره إلا المولى الذي يلي أمره»[٣].

فالتصحيف واقع بين كلمة (ولده) وكلمة (ولي) وإذا تحقق التصحيف بين الروايتين، تعارضتا فيرجع حينئذ إلى المرجحات المعروفة.

ولا نجد صعوبة في إيجاد عدة مرجحات تؤيد تلك الرواية التي جاء فيها لفظ الولي على تلك الرواية التي ذكرت لفظ الولد ومن هذه المرجحات:

---

(١) القاموس الفقهي للدكتور سعدي أبو حبيب: ص٢٠٨.

(٢) كتاب الغيبة لمحمد بن إبراهيم النعماني: ص١٧٦.

(٣) الغيبة للشيخ الطوسي: ص٦١.

المرجح الأول: الرواية التي تقدم الكلام عنها والتي رويت عن الإمام الرضا عليه السلام: (**... لا يكون الإمام إلا وله عقب إلا الإمام الذي يخرج عليه الحسين بن علي عليه السلام فإنه لا عقب له...**)(١) هي متوافقة مع الرواية التي ليس فيها ذكر الولد، ومتعارضة مع تلك التي تذكر أنّ للإمام عليه السلام ولداً ولكنه لا يطلع على مكانه صلوات الله وسلامه عليه، فتكون مقوية وجابرة لتلك التي لم يأت فيها ذكر للولد، وكاسرة لهذه التي تذكر الولد.

المرجح الثاني: ذلك المنهج العام للإمام المهدي عليه السلام في غيبته التامة، وفقا لما حققناه والقاضي بالتواري الكامل لكل أثر يمكن أن يدل عليه، وإخفاء كل خبر يمكن أن يوصل إليه، وقد اتضح لنا فيما سبق أن وجود الذرية ملازم عادة لانكشاف أمر الإمام المهدي صلوات الله وسلامه عليه، بعكس وجود الولي الذي يلي أمره، فإن الولي لا يلزم منه بالضرورة هتك سر الغيبة، لوجود اليقين بأن هذا الولي هو على درجة عالية جداً من الوثاقة التي يستحيل معها كشف السر بحال من الأحوال، خصوصاً إذا كان هذا الولي هو كالخضر صلوات الله وسلامه عليه الذي سيأتي ذكر كونه ملازم للإمام المهدي صلوات الله وسلامه عليه في أثناء غيبته الكبرى.

الأمر الثاني: المراد من الرواية الكناية عن شدة الحيطة والحذر

حتى لو ثبت ان لفظ الولد هو المتعين دون لفظ الولي، فإننا نحتمل على أقل التقادير أن المراد بقوله: (**لا يطلع على موضعه أحد من ولده ولا غيره...**) هو كناية عن المبالغة في بيان درجة الخفاء والحيطة والحذر التي اتبعها الإمام المهدي عليه السلام في غيبته التامة الكبرى، وتكون الرواية بمعنى انه عليه السلام حتى لو كان له ولد فإنه لا

(١) كتاب الغيبة للشيخ الطوسي: ص٢٢٤. بحار الأنوار: ج٢٥، ص٢٥١.

يطلع على حقيقته وحقيقة مكانه فضلاً عن غير الولد، وهذا الاحتمال يكفي لإسقاط الاستدلال بالرواية فإذا ورد الاحتمال بطل الاستدلال[1].

الأمر الثالث: الرواية قاصرة عن إثبات المدعى

حتى لو فرضنا ان لفظ الولد ثابت في الرواية، فانها تبقى قاصرة عن إثبات قول المدعي، وذلك لأنه يدعي الاتصال الدائم والمستمر بالإمام المهدي متى ما أحب وأراد، حتى انه ليدعي بان الإمام المهدي صلوات الله وسلامه عليه يواعده في أماكن خاصة يلتقي فيها معه، وهو يعني معرفته على أقل التقادير بمكان الإمام المهدي المؤقت الذي يتخذه مقرا للقاء مع ذلك المدعي، وهذا منفي بنفس الرواية لأنها قالت: (**...لا يطلع على موضعه أحد من ولده ولا غيره إلا المولى الذي يلي أمره...**) ففي قوله صلوات الله وسلامه عليه هذا إطلاق يشمل موضعه الدائم و المؤقت، وذلك لان الكشف عن أحدهما يُعدّ كشفا عن شخصية الإمام المهدي، وهتكا لستر غيبته التامة فتأمل.

الشبهة الخامسة من شبهات إثبات الذرية للإمام المهدي

وقد استدل المدعي على وجود ذرية للإمام المهدي صلوات الله وسلامه عليه في زمن الغيبة التامة الكبرى بقول أبي بصير عن الإمام الصادق صلوات الله وسلامه عليه حيث قال:

«يا أبا محمد كأني أرى نزول القائم عليه السلام في مسجد السهلة بأهله وعياله. قلت: يكون منزله جعلت فداك؟ قال: نعم، كان فيه منزل إدريس، وكان منزل إبراهيم خليل الرحمن وما بعث الله نبيا إلا وصلى فيه وفيه مسكن الخضر... قلت: جعلت فداك لا يزال القائم فيه أبداً؟

---

(١) نفس المصدر السابق.

قال عليه السلام: نعم، قلت: فمن بعده؟ قال عليه السلام: هكذا من بعده إلى انقضاء الخلق، قلت: فما يكون من أهل الذمة عنده؟ قال: يسالمهم كما سالمهم رسول الله صلى الله عليه واله، يؤدون الجزية عن يد وهم صاغرون. قلت: فمن نصب لكم عداوة؟ فقال: يا أبا محمد ما لمن خالفنا في دولتنا من نصيب إن الله قد أحل لنا دماءهم عند قيام قائمنا، فاليوم محرم علينا وعليكم ذلك فلا يغرنك أحد، إذا قام قائمنا انتقم لله ولرسوله ولنا أجمعين»[1].

ووجه الاستدلال في هذه الرواية: هو في قول الإمام الصادق صلوات الله وسلامه عليه **«... كأني أرى نزول القائم عليه السلام في مسجد السهلة بأهله وعياله..»** فإنها صريحة بوجود الزوجة والذرية للإمام المهدي صلوات الله وسلامه عليه.

لا يمكن أن يستفاد من هذه الرواية، أو يستدل بها على وجود الزوجة والذرية في زمن الغيبة الكبرى، لأن الرواية كما هو واضح تتكلم عن مرحلة ما بعد ظهور الإمام المهدي صلوات الله وسلامه عليه، بدليل قوله صلوات الله وسلامه عليه حينما سأله أبو بصير:

«يكون منزله جعلت فداك؟ قال عليه السلام: نعم... قال: جعلت فداك لا يزال القائم فيه أبداً؟ قال عليه السلام: نعم، قلت فمن بعده؟ قال عليه السلام: هكذا من بعده إلى انقضاء الخلق...».

فلو كانت هذه الرواية تقصد من زمن نزوله صلوات الله وسلامه عليه بعياله وزوجته في مسجد السهلة أثناء غيبته التامة الكبرى للزم انكشاف مكان غيبته وموضع تخفيه، ولتمكن كل الناس ولاسيما الظالمين الذين يلاحقون الإمام المهدي

(١) بحار الأنوار: ج٥٢، ص٣٧٦. والمزار لمحمد بن المشهدي: ص١٣٤- ١٣٥.

صلوات الله وسلامه عليه ، ويتتبعون أثره من الوصول إليه ومعرفة موضع اختفائه ، لان الرواية تنص على أنه ساكن في مسجد السهلة أو قربه أبداً ودائما ، بمعنى أنه متواجد في هذا المكان في تمام زمن الغيبة الكبرى ، وهذا ما لا ينسجم مع جملة من الروايات والقواعد العامة والتي منها : ما روي عن المفضل بن عمر الجعفي ، عن أبي عبد الله الصادق صلوات الله وسلامه عليه :

«قال: إن لصاحب هذا الأمر غيبتين: إحداهما تطول حتى يقول بعضهم: مات، وبعضهم يقول: قتل، وبعضهم يقول: ذهب، فلا يبقى على أمره من أصحابه إلا نفر يسير، لا يطلع على موضعه أحد من ولي ولا غيره، إلا المولى الذي يلي أمره»(١) .

وبديهي ان اتخاذ مقر دائم للسكن أثناء الغيبة الكبرى ، وإخبار الإمام الصادق عنه هو من أوضح مصاديق الاطلاع على السكن فيكون منتفيا.

وحمل الرواية على زمن الغيبة الكبرى التامة لا ينسجم كذلك مع المنهج الذي اتبعه الإمام صلوات الله وسلامه عليه في أثناء غيبته التامة ، وهو منهج التواري الكامل لكل أثر يمكن أن يدل عليه ، وإخفاء كل خبر يمكن أن يوصل إليه.

وكذلك الرواية لا تنسجم مع قول الإمام المهدي صلوات الله وسلامه عليه لابن مهزيار :

«يا ابن المهزيار أبي أبو محمد ـ الحسن العسكري عليه السلام ـ عهد إلي أن لا أجاور قوماً غضب الله عليهم ولعنهم ولهم الخزي في الدنيا والآخرة ولهم عذاب الأليم، وأمرني أن لا أسكن من الجبال إلا وعرها ومن البلاد إلا عفرها والله مولاكم أظهر التقية فوكلها بي فأنا في التقية إلى يوم

---

(١) كتاب الغيبة لمحمد بن إبراهيم النعماني : ص١٧٦ .

يؤذن لي فأخرج...»[١].

فسكناه في مسجد السهلة أو حوله لو قلنا بتحققه في عصر الغيبة الكبرى، يكون فيه مخالفة صريحة من قبل الإمام المهدي صلوات الله وسلامه عليه لعهد أبيه الإمام العسكري صلوات الله وسلامه عليه حاشاه، فهو لا يخون عهد أبيه الذي فيه خلاصه، وخلاص العالم بأكمله.

ومما يدل أيضا على ان الرواية إنما تتحدث عن زمن ما بعد الظهور للإمام المهدي صلوات الله وسلامه عليه، وما بعد إقامة دولته، واستقرار حكومته قوله صلوات الله وسلامه عليه في نفس الرواية: (**فما يكون من أهل الذمة عنده؟ قال: يسالمهم كما سالمهم رسول الله صلى الله عليه وآله، يؤدون الجزية عن يد وهم صاغرون**) ومسالمة أهل الذمة وأخذ الجزية منهم وإعطاؤها إياه عن يد وهم صاغرون، لا يكون إلا عند تمتع الإمام المهدي صلوات الله وسلامه عليه بقوة وشوكة وسلطان وسطوة، وهذا لا يكون إلا بعد ظهوره وإقامته لدولته المباركة.

وأوضح من كل ذلك قوله صلوات الله وسلامه عليه: (**قلت: فمن نصب لكم عداوة؟ فقال يا أبا محمد ما لمن خالفنا في دولتنا من نصيب إن الله قد أحل لنا دماءهم عند قيام قائمنا، فاليوم محرم علينا وعليكم ذلك فلا يغرنك أحد، إذا قام قائمنا انتقم لله ولرسوله ولنا أجمعين**) فان فيه تصريحاً لذكر دولتهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين والتي لن تتحقق إلا بعد الظهور وانتهاء عصر الغيبة الكبرى.

فالرواية إذن لا تتحدث إلا عن وجود الأهل والذرية بعد انتهاء الغيبة الكبرى، وهو مما لا مانع منه عقلا أو شرعا.

---

(١) الغيبة للطوسي: ص٢٦٦، الخرائج والجرائح: ج٢، ص٧٨٧. بحار الأنوار: ج٥٢، ص١٢.

الشبهة السادسة من شبهات إثبات الذرية للإمام المهدي

واستدل المدعي على وجود الذرية للإمام المهدي صلوات الله وسلامه عليه أثناء غيبته الكبرى بجملة من الأدعية والصلوات الخاصة التي وردت في كتب الزيارات والحديث، والتي جاء في طياتها ذكر لأولاد الإمام المهدي صلوات الله وسلامه عليه وذريته منها:

ما رواه صاحب البحار بقوله:

«السلام على ولاة عهده وعلى الأئمة من ولده، اللهم صلِّ عليهم وبلغهم آمالهم وزد في آجالهم وأعز نصرهم، تمم لهم ما أسندت من أمرك إليهم..»[١].

ومنها ما رواه صاحب المزار بقوله:

«... اللهم أعطه في نفسه وذريته وشيعته ورعيته وخاصته وعامته وعدوه وجميع أهل الدنيا ما تقر به عينه وتسر به نفسه...»[٢].

ويرد على هذا الدليل ما يأتي:

ان كل تلك الصلوات والدعوات التي نصت على ذكر الذرية والأولاد للإمام المهدي صلوات الله وسلامه عليه إنما تتحدث عن وجودهم في عصر ما بعد الظهور، وهو ما لا مانع منه، كما كررنا ذلك مرارا، وفي قوله صلوات الله وسلامه عليه:

«السلام على ولاة عهده، وعلى الأئمة من ولده... تمم لهم ما أسندت من أمرك إليهم».

---

(١) بحار الأنوار: ج٩٩، ص٢٢٨.

(٢) كتاب المزار لمحمد بن المشهدي: ص٦٩٩. جمال الأسبوع لابن طاووس: ص٣٠٦. معجم أحاديث الإمام المهدي: ج٤، ص٤٩١.

خير دليل على ما أسلفنا، إذ إن ولاية عهدهم وإمامتهم وإتمام ما أُسند إليهم من أمر كل ذلك لا يكون إلا بعد الظهور المبارك للإمام المهدي أرواحنا فداه.

وكذا الحال في الدعاء الثاني إذ انه يذكر شيعته ورعيته، والرعية ـ كما هو بديهي ـ لا تكون ولا يتحقق وصفها إلا حال كونه صلوات الله وسلامه عليه راعيا وحاكما، وهذا الأمر إنما يتحقق بعد ظهوره.

وعلى هذا المنوال نستطيع أن نفهم كل تلك الأدعية والصلوات التي ذكرت ان للإمام المهدي صلوات الله وسلامه عليه أولادا وذرية، ففي جميعها كما راجعناه توجد قرائن وإشارات تدل على أن تحقق هؤلاء الأولاد والذرية إنما يكون في زمن ما بعد الظهور المقدس.

هذه هي أهم الأدلة التي يتمسك بها مدعي وجود الذرية في زمن الغيبة الكبرى والتي هي:

﴿كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾[1].

وما لم نذكره من باقي أدلته يمكن معرفة جوابه مما سبق، لأنه اعتمد إما على ما هو ضعيف من حيث السند أو الدلالة أو متشابه يحمل وجوها عدة، أو معارض بما هو أقوى منه سندا أو دلالة، أو هو مخالف للقواعد العامة التي تسالم عليها المذهب، أو ما قد اقتطع اقتطاعا من بعض الروايات دون ذكر ما قبله وما بعده، بحيث لو ذكر ما قبله أو ما بعده لما تم له مراده، ولاكتشف العاقل اللبيب زيف قوله وتدليسه.

---

(١) سورة النور، الآية: ٣٩.

الرسالة الثانية

هل للرؤى والأحلام حجية شرعية أو عقلية؟

مقدمة

عندما لا يجد أهل الضلالة حجة على باطلهم، ولا دليلا على زيفهم، فإنهم يركنون إلى اعتماد وسائل لا يركن إليها في مقام الحجة والبرهان، ولا يعول عليها حين الاستدلال ومقارعة الحجة بالحجة، وحينما لا تسعفهم اليقظة وأدلتها يهرعون إلى الأحلام والمنامات، لان الإنسان حينها مسلوب الاختيار، وعقله في سبات، فالتأثير عليه يصبح ليس بالأمر العسير واستغلاله سهل يسير.

وليس من بيئة أفضل ولا من أرض أشد خصوبة لنمو أفكار أهل الضلالة والفتن من بيئة وارض يغيب عنها العقل والمنطق، ويتحكم فيها الجهل والخيال، لذا نراهم على مر العصور يختارون من الأماكن أشدها جهلا، ومن الأتباع أشدهم سذاجة وأفقرهم علما، فيستغلون ذلك الجهل وهذه السذاجة، ليعيثوا فيهم وفي أرضهم الفساد، ويبثوا الرعب والخوف في قلوبهم، ويكرروا الإيحاء لهم وبشتى الوسائل بأن من لم يؤمن بدعوتهم، ولا ينقاد لباطلهم، ولا ينصاع لضلالهم سيتعرض إلى مصاعب شتى، وسيصاب بمصائب جمة، وان الإمام المهدي صلوات الله وسلامه عليه هو الذي سيتولى الانتقام منه ومعاقبته حاشاه، وان من يقف في وجوه انحرافهم سيلاقي هو وأفراد عائلته الهوان والهلاك.

كل هذه الأساليب في الإرهاب والتضليل الفكري تجعل من عوام الناس، وسذاجهم يعيشون حالة الخوف الدائم، والرعب المستمر من احتمال أن يكون

كلام هؤلاء الضالين صحيحا، فيدخل ذلك الإنسان البسيط في صراع مع نفسه كبير، ثم ان هذا الصراع وذلك الخوف يختزل في عالم اللاوعي، وتنعكس صورته أثناء النوم عندما يكون الخيال حرا، والعقل في سبات فيرى في أحلامه ما يخوفه ويهوله، فيحسب أن ما رآه إنذارٌ له وتخويفٌ، فينقاد لهم خوفا، ويؤمن بباطلهم كرها.

ونحن في هذه الرسالة سنعالج قضية الأحلام والرؤى، ونثبت بما ليس فيه شك أنّ الأحلام والرؤى لا يمكن أن تكون طريقا شرعيا للوصول من خلالها إلى التكاليف الواقعية والأحكام الشرعية أو العقائدية، وان الغالبية العظمى منها ما هي إلا سفاسف وتخيلات يلقيها الشيطان لابن آدم في النوم، فيتصور أنها حق لا لبس فيها، أو يتأثر الإنسان بقضية في يقظته تشغل فكره، ويهتم لها قلبه فيراها في المنام، وتنعكس على شكل أحلام تتناسب والحال التي كان مشغولا بها في يقظته.

وسنصل من خلال البحث إلى نتيجة مهمة، وهي ان على الإنسان المؤمن أن يستحصل أدلة عقيدته من المناشئ العقلائية المعتمدة، وان يبني منظومة عقيدته على أساس فولاذي مدعوم بأدلة العقل والفطرة، لان ما يكون حجة شرعية هو ما يثبت صدقه بالدليل حال اليقظة، فان وافق المنام ما ثبت في الواقع كان مطمئنا للإنسان أنه على الطريق الصحيح، أما إذا ثبت عندنا في الواقع كذب قضية معينة، وقامت على تكذيبها أدلة يقينية، ثم وفي المنام والرؤيا تلبست تلك القضية بثوب الحق، فالشرع حينئذ والعقل يحكمان بعدم الاعتناء بما جاء في الأحلام؛ إذ إن ذلك محكوم عليه بكونه من تسويلات الشيطان وتدليساته، التي يريد بها أن يسلب من ابن آدم حلاوة إيمانه ويشككه في دينه ويزعزع يقينه.

أقسام الرؤى والأحلام بحسب روايات أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين

من تتبع كلام الأئمة الأطهار في هذا الصدد يجدهم يقسمون الرؤيا إلى ثلاثة أقسام رئيسة؛ وهي التي ورد ذكرها في قول الإمام الصادق صلوات الله وسلامه عليه:

«الرؤيا على ثلاثة وجوه؛ بشارة من الله للمؤمن؛ وتحذير من الشيطان؛ وأضغاث أحلام»[١].

وكذلك ورد لها ذكر في كلام الإمام موسى بن جعفر صلوات الله وسلامه عليهما حيث قال ناقلا عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قوله:

«الرؤيا ثلاثة؛ بشرى من الله؛ وتحزين من الشيطان؛ والذي يحدث به الإنسان نفسه فيراه في منامه»[٢].

وعليه تكون أقسام الرؤيا كالآتي:

القسم الأول: الرؤيا التي من الله سبحانه وتعالى

وإنما نسبت إلى الله تعالى لطهارتها من حضور الشيطان، وإفساده لها، وسلامتها من الغلط والخطأ والتخليط من الأشياء المتضادة[٣]، ويتفرع هذا القسم إلى فرعين:

---

(١) الكافي للشيخ الكليني: ج٨، ص٩٠، الرؤيا على ثلاثة وجوه الحديث رقم ٦٠

(٢) بحار الأنوار للعلامة المجلسي: ج٥٨، ص١٩١، في قول رسول الله صلى الله عليه وآله: الرؤيا ثلاثة.

(٣) شرح أصول الكافي للمولى محمد صالح المازندراني: ج١١، ص٤٧٩، كتاب الروضة حديث الأحلام والحجة على أهل الزمان.

الفرع الأول: الرؤى المبشرات

والى هذا القسم يشير الإمام أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه بقوله: (**الرؤيا الصالحة إحدى البشارتين**)[١]، وهذا اللفظ ـ المبشرات ـ مشتق من قولهم أبشرت الرجل وبشرته أي أخبرته بأمر سار بسط بشرة وجهه، وذلك ان النفس إذا سرت انتشر الدم فيها انتشار الماء في الشجر، ويقال أيضا استبشر إذا وجد ما يبشره من الفرح، ويقال للخبر السار البشارة والبشرى[٢] قال تعالى:

﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَـٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾[٣].

وقال الزبيدي في تاج العروس: (التبشير في عرف اللغة مختص بالخبر الذي يفيد السرور...)[٤].

وهذا القسم من الرؤى بحسب التحقيق لا يفيد رائيه أكثر من البشارة بحسن العاقبة في الآخرة، وقبول الأعمال في الدنيا، ولا يثبت به حكما شرعيا تكليفيا، أو أصلا من الأصول العقائدية، بدليل ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم وبقية الأئمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين لم يستدلوا بالأحلام سواء المبشرات منها أو المنذرات على إثبات الحكم الشرعي أو الأصل العقائدي، بل من راجع أحاديثهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين يجدهم قد نهوا عن اتخاذ الأحلام طريقا لأحكام الله

---

(١) ميزان الحكمة لمحمد الريشهري: ج٢، ص١٠١٠.

(٢) مفردات غريب القرآن للراغب الأصفهاني: ص٤٨.

(٣) سورة يونس، الآية: ٦٤.

(٤) تاج العروس للزبيدي: ج٦، ص٨٥، مادة بشر.

سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى كما في رواية ابن أبي عمير عن ابن أذينة عن أبي عبد الله الصادق صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ قال:

«قال ما تروي هذه الناصبة؟ فقلت: جعلت فداك في ماذا؟ فقال عليه السلام: في أذانهم وركوعهم وسجودهم، فقلت: إنهم يقولون إن أبي بن كعب رآه في النوم، فقال عليه السلام: كذبوا فإن دين الله أعز من أن يرى في النوم...»[1].

بل ووجدناهم صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِين لا يقرون ما هو متعارض مع أصول العقائد والقضايا المجمع عليها، ونسبوا من يرى رؤيا لا تتناسب وروح الإسلام وأحكامه المجمع عليها إلى نقص الدين، كما في رواية إبراهيم الكرخي قال:

«قلت للصادق جعفر بن محمد عليهما السلام: إن رجلا رأى ربه عز وجل في منامه فما يكون ذلك؟ فقال: ذلك رجل لا دين له، إن الله تبارك وتعالى لا يرى في اليقظة ولا في المنام ولا في الدنيا ولا في الآخرة»[2].

وعلماء هذا المذهب الحق تبعا لنبيهم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم وأهل بيته صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِين ابتداءً من زمن السفراء الأربعة رِضْوَانُ اللهِ تَعَالَى عَلَيْهِمْ والذين كان رأيهم وأمرهم وفعلهم وتركهم كاشفا عن رأي المعصوم وأمره صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ، وانتهاءً بوقت الناس هذا لم يجعلوا الأحلام المبشرات أو غيرها طريقا يستحصل منه الحكم الشرعي، أو دليلا يتوصل من خلاله إلى المسائل العقائدية، وعليه يكون كل

---

(١) كتاب الكافي للشيخ الكليني: ج٣، ص٤٨٢، باب النوادر، وفي بحار الأنوار للمجلسي: ج١٨، ص٣٥٤، الباب ٣ في إثبات المعراج ومعناه.

(٢) الأمالي للشيخ الصدوق: ص٧٠٨، بحار الأنوار للعلامة المجلسي: ج٤، ص٣٢، الباب الخامس نفي الرؤية وتأويل الآيات فيها.

من الدليل الروائي والإجماعي دالا وبوضوح على عدم قابلية هذا القسم من الرؤى، بل جميع أقسام الرؤى والأحلام إلى أكثر من كونه بشارة على قبول الطاعات ورفع الدرجات في الآخرة.

وسيأتي تفصيل أكثر لهذا الموضوع عند حديثنا عن حجية الرؤى والأحلام.

الفرع الثاني: الرؤى المنذرات

وهي تلك الرؤى التي يريها الله سبحانه وتعالى لبعض عباده رحمة منه بهم، بهدف زجرهم وردعهم عن بعض ما هم عليه من الأعمال القبيحة، والأفعال المشينة، فعن الإمام الصادق صلوات الله وسلامه عليه قال:

«إذا كان العبد على معصية الله عز وجل وأراد الله به خيرا أراه في منامه رؤيا تروعه فينزجر بها عن تلك المعصية...»[1].

وعن زيد بن يونس الشحام عن الإمام أبي الحسن موسى صلوات الله وسلامه عليه انه قال:

«وادنى ما يصنع بولينا أن يريه الله رؤيا مهولة فيصبح حزينا لما رآه فيكون ذلك كفارة له...»[2].

ولا نجد صعوبة في تحديد تلك الرؤى التي يمكن نسبتها إلى الله سبحانه وتعالى، فكل رؤيا يرى فيها الإنسان نفسه وهو يؤدي طاعة مفترضة، أو سنة مندوبة، أو يقرأ فيها آيات القرآن، وأحاديث النبي والمعصومين صلوات الله عليهم

---

(١) الاختصاص للشيخ المفيد ص٢٤١، وبحار الأنوار للعلامة المجلسي: ج٥٨، ص١٦٧.

(٢) بحار الأنوار للعلامة المجلسي: ج٢٧، ص١٣٨، باب ثواب حبهم ونصرهم وولايتهم وأنها أمان من النار.

أجمعين، أو تكون متضمنة لبشرى بنعيم وجنان وخضرة واجتماع مع الأنبياء والصالحين والعلماء، فهذه الأمور بأجمعها من الله سبحانه.

أما لو كان من أهل المعاصي والذنوب، ورأى ما ينهاه أو يخوفه ويردعه من تلك الذنوب، أو يحذره من الاستمرار في الغي، أو يشجعه على التوبة ويحببها له، كل ذلك من الله سبحانه، يريها للإنسان رحمة به.

القسم الثاني: الحلم الذي هو من الشيطان عليه اللعنة

ونسبة هذا القسم إلى الشيطان عليه اللعنة لأن (أسبابه من الشيطان، ووسوسته يفعلها للإنسان، يذكره بها أمورا تحزنه، وأسباباً تغمه فيما لا يناله، أو يدعوه إلى ارتكاب محظور يكون فيه عطبه، أو تخيل شبهة في دينه يكون منها هلاكه، وذلك مختص بمن عدم التوفيق لعصيانه وكثرة تفريطه في طاعات الله سبحانه، ولن ينجو من باطل المنامات وأحلامها إلا الأنبياء والأئمة عليهم السلام ومن رسخ في العلم من الصالحين)[(١)]، فعن أبي بصير عن أبي جعفر الباقر صلوات الله وسلامه عليه قال:

«**إن لإبليس شيطانا يقال له هزع، يملأ ما بين المشرق والمغرب في كل ليلة يأتي الناس في المنام**»[(٢)].

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال:

«**الرؤيا من الله، والحلم من الشيطان**»[(٣)].

(١) المصدر السابق: ج٥٨، ص٢٠٩ - ٢١٠.

(٢) الأمالي للشيخ الصدوق: ص٢١٠.

(٣) بحار الأنوار للعلامة المجلسي: ج٥٨، ص١١٩.